المختار الإسلامي

مجلة كل المسلمين

دد ٢٣٨ - السنة ٢٣ - غرة جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠٠٢ م - الثمن ثلاثة جنيهات

حوار الشهر مع : الشيخ أحمد ياسين

نكبتنا الثالثة ما بعد النكبتين
١٩٤٨ - ١٩٦٧ - ٢٠٠٢

جمال عبد الناصر رجل هزم أمه
٢٣ يوليو الثورة غير المباركة
خمسون عامًا من القهر والفقر والضياع
١٩٥٢ - ٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحرر

الاحتفال بقهر الإنسان

الاحتفالات المبالغ فيها بحركة الجيش ١٩٥٢/٧/٢٣ بمناسبة مرور ٥٠ عاما عليها ، تعنى أننا لانزال نعيش أسرى القهر والخوف وانتهاك حقوق الإنسان وعزل الإنسان وعدم احترام إرادته ذلك أن الشئ الأساسى الذى تمخضت عنه حكومات يوليو هو دفع الإنسان المصرى إلى السلبية ومنعه من المشاركة ، وعلينا أن ندرك أن الجماهير الشعبية فى مصر كانت فى نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات قد وصلت إلى أوج حركتها السياسية ، فالشارع المصرى كان يغلى بالثورة والانتفاض (مظاهرات طلابية - إضرابات عمالية - انتفاضات فلاحية فى قرى الريف المصرى - مقاومة مسلحة ضد الإنجليز فى القناة واليهود فى فلسطين) والنظام السياسى قد وصل إلى أزمة طاحنة ؛ أى أن الأمة كانت حبلى بالثورة ، فتم إجهاض تلك الثورة الشعبية بثورة غير شعبية ، وإسقاط الجنين الحقيقى لحساب جنين مشوه ، وهكذا جاءت حكومات يوليو لتحقق بعض الإنجازات بعد أن تعزل الجماهير عن المشاركة ، وبالتالى سقوط هذه الإنجازات مع أول منعطف ، ولعل أخطر ما فعلته حكومة الثوزة الأولى هو مسألة فصل السودان عن مصر ، والذين يعتذرون عن ذلك بحق تقرير المصير واهمون ، لأنه لو عرضنا حق تقرير المصير على أى محافظة لكان الانفصال ، ولا يمكن وضع وحدة الأمة تحت رحمة تقرير المصير ، فتقرير المصير يكون فى مواجهة الاستعمار - وليس فى مواجهة بعضنا بعضا ، والسودان بالنسبة لمصر هو معروف بمثابة إسطوانة الأوكسجين بالنسبة للغطاس ، وهكذا فهذه جريمة تكفى لنسف أي إنجاز.

وكذلك إذا قارنا مساحة مصر "مصر والسودان" قبل ١٩٥٢ وبعد ١٩٦٧ مثلا نجد أن المساحة نقصت السودان + سيناء أى فقدت مصر ٧٠٪ من مساحتها !!.. وهذا يدل على مدى الجريمة التى لحقت بنا ، أضف إلى ذلك انتهاك حقوق الإنسان بلا حدود والتعذيب فى السجون ، وهى أمور لا يمكن تبريرها ، لأن حرمة الإنسان أعز على الله تعالى من الكعبة .. ﴿من قتل نَفسا بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قَتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ .

القرآن الكريم .. ولكنه كلام الله .. هذا الكلام نقل البشرية من الظلمات إلى النور ، وحول العالم والأفراد إلى نماذج من القيم والمثل العليا وزرع فيها الخير والبر والرشاد ، وحول العرب من رعاع إلى مجتمع فاضل ، لقد أضاءت كلمة الإسلام ربوع العالم وغطت الخريطة المحمدية ثلثى الكرة الأرضية ، وشملت سحائب الرحمة المجتمع البشرى بفضل كلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

إن أول كلمة نزلت في القرآن هى اقرأ تكريما للكلمة ، وهناك سورة أخرى تُسمى بسورة القلم تشريفاً له وقد يغلب مداد العلماء دم الشهداء .

نعم .. لقد تمت الصفقة وربح البيع .. والحمد الله رب العالمين .

وقد سأل وفد التليفزيون الألمانى الدكتور محمد مورو عن رأيه فى العمليات الاستشهادية وعن رأيه فى أحداث ١١ سبتمبر ، وعن أهداف الحركة الإسلامية ، ورد الدكتور محمد مورو على ذلك بقوله :

إن العمليات الاستشهادية عمليات مشروعة تماما لأن كل من يقيم فى فلسطين المحتلة من غير أهلها الفلسطينيين هم مجموعة من المغتصبين ، وبقاء فرد من هؤلاء هو نوع من النفى لفلسطينى وبالتالى يحق قتله ، وإلا فليرحل ، وكذلك ليس هناك فى إسرائيل مدنيون لأن جميع السكان يشاركون فى المجهود العسكرى الإسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى بطريقة أو بأخرى .. وهكذا فالعمل ضدهم مشروع تماما .

وقد صور الدكتور محمد مورو الأمر على طريقة سؤال : ماذا لو قام الفرنسيون مثلا باحتلال استيطانى لألمانيا أو جزء منها ، وجاءوا بأسرهم للإقامة الدائمة فيها ؟.. ، وكان لديهم آلة عسكرية سائقة .. ماذا يفعل الألمان عندئذ ؟!..

وعلى سؤال حول الرأى فى أحداث ١١ سبتمبر قال الدكتور محمد مورو : إن هذا الحادث لا يعرف أحداً نفذه حتى الآن ، ومن غير المعقول أن يكون أسامة بن لادن هو المنفذ أو تنظيم القاعدة ، لأنه بعد كل هذا الوقت ، وكل هؤلاء المعتقلون والأسرى من تنظيم القاعدة وطالبان لم تقدم الإدارة الأمريكية أى دليل مادى جدى على تورط هؤلاء .. وهذا غير معقول ؟!.. وأن الحادث استخدم ذريعة لتنفيذ مُخطط أمريكى مُسبق للهيمنة على العالم بحجة محاربة الإرهاب ، وأن محاربة الإرهاب المقصود بها القضاء على أية مقاومة لإسرائيل أو أمريكا .

وعن سؤال ماذا تريد الحركة الإسلامية ، قال الدكتور مورو :

إنها تريد الحرية والعدالة وحقوق الإنسان !.. وإنها صوت الجنوب فى مواجهة هيمنة الشمال ، وأن الحركة الإسلامية هى طليعة المستضعفين فى العالم لمواجهة الاستكبار الأمريكى الصهيونى الذى وصل إلى أعلى مراحله فى مرحلة العولمة .

خواطر مسلم

الإنذار "البيان" الأمريكى سم قديم فى زجاجات جديدة

ينبغى ألا تخدعنا الضجة الإعلامية حول ما يسمى بخطاب الرئيس بوش ٢٠٠٢/٦/٢٤ أو ما يسمى بخطة بوش أو الخطة الأمريكية للسلام فى الشرق الأوسط أو ما يسمى بالبيان الأمريكى الذى طال انتظاره وتأجل عدة مرات ، وراهن البعض عليه ، وكأنه منتهى المراد من رب العباد لا ينبغى أن تخدعنا الضجة أو المسميات عن قراءة مباشرة لما تضمنه ذلك البيان أو الخطة أو الخطبة ..

ذلك أن القراءة المباشرة له تقول أنه ليس إلا إنذاراً شديد اللهجة للفلسطينيين والعرب بل والجميع بالخضوع للمنطق الشارونى وإلا فالعقاب الأمريكى جاهز وأن كل الأفكار التى جاءت به ما هى إلا سم قديم فى زجاجات جديدة ، بل أسوأ أنواع السم وأكثرها فتكاً.

بالطبع من مصلحة - ولو من باب الحياء والخجل - الذين راهنوا أو بشروا بإمكانية ظهور خطة سلام أمريكية أو مؤتمر سلام برعاية أمريكا ، أو أى شئ من هذا القبيل أن يعتبروه بيانا أو خطة رغم وضوح لهجة الإنذار فيه ، ذلك أنهم ليس أمامهم شئ آخر ، أما الذين لا يزالون يؤمنون بالكرامة وقدرة الشعوب فإن الأصح والأفضل دائما مواجهة الحقائق مهما كانت مريرة ، وهكذا فإن الذين رحبوا وتحفظوا على البيان أو رحبوا فقط ، رغم ظروفهم الصعبة ، فإنهم إنما يدعوننا إلى تجرع السم ومن ثم الموت وضياع الفرصة إلى الأبد فى التحرر والنهضة أو حتى دخول التاريخ من باب الكرامة والاستشهاد .

بداية فإن النقاط الرئيسية فى الإنذار "البيان" الأمريكى كانت كالتالى :

بقلم: د. محمد مورو

- اشتراط الإصلاح الشامل لهياكل السلطة الفلسطينية وتغيير القيادات بما فيهم ياسر عرفات ، وعدم قبول التعاون معه بأى حال من الأحوال .

- بناء ديمقراطية حقيقية !!.. فى الكيان الفلسطينى وحراسة أمن إسرائيل إذا نفذت تلك الشروط أى الإطاحة بعرفات والسلطة وتحقيق منع العمليات ضد إسرائيل بالكامل تقوم دولة فلسطينية «مؤقتة» فى غضون ثلاث سنوات .

- تظل حدود تلك الدولة معلقة حتى يتم وضع ترتيبات أمنية جديدة مع دول الجوار .

- تأجيل البت فى موضوعات الحدود واللاجئين ووضع مدينة القدس .

- تعمل إسرائيل على سحب قواتها من الأرضى "أ" أى التى احتلتها منذ ٢٩/٣/٢٠٠٢ وفقا لترتيبات لجنة ميتشل وذلك بشرط تحقق الأمن !!..

- تهديد سوريا وإيران والعراق مباشرة بدعوى دعم الإرهاب .

هذه الأفكار الرئيسية بالطبع ليس منها أى جديد ، فهى بالضبط ما يريده شارون ، فهى تختزل القضية الفلسطينية فى حصول إسرائيل على الأمن وتهيئة الوضع الفلسطينى والعربى للقيام بمهمة حماية إسرائيل ، وهو يعكس إحساساً متزايداً لدى الرئيس الأمريكى والساسة الأمريكيين والإسرائيليين بمدى خطورة وجدوى العمليات الاستشهادية التى تهدد وجود إسرائيل ذاتها ، وهكذا فالمطلوب فقط هو حماية أمن إسرائيل ورفع الخطر عن مصير ووجود إسرائيل ، وإشراك الفلسطينيين والعرب فى ذلك ، أى القيام بما فشلت فيه إسرائيل حتى الآن ، أى دخول أمريكا طرفا فى تحقيق ذلك بعد فشل إسرائيل بكل ما فعلته وتوريط دول الجوار والعرب والسلطة فى تحقيق ذلك وإلا فالعقاب الأمريكى جاهز .

والبيان "الإنذار" يتجاهل الإشارة إلى مؤتمر السلام فى الشرق الأوسط وهو المؤتمر الذى تحدثوا عنه طويلا ، وطالب به - رغم عدم جدواه أيضا - السعوديون والمصريون ، وهو الأمر الذى يعنى مباشرة استبعاد الرؤية غير الأمريكية وغير الإسرائيلية تماما من الموضوع فلا أوروبا ، ولا الأمم المتحدة ، ولا روسيا ، ولا الدول العربية طرف فى شئ ، وهذا يعنى مباشرة أنه ليس خطة سلام هناك ولا خطة

بالمرة ، بل إنذار أمريكي شديد اللهجة .

- إهدار كل المرجعيات السابقة ، فلا حديث عن قرار ٢٤٢ ولا حتى مدريد وأوسلو ولا نظرة لكل المفاوضات السابقة ، بل لا حديث عن تفكيك مستوطنات ولا حتى وقف بناء مستوطنات ، ولا انسحاب إسرائيلى إلى حدود ٤ يونيو أو حتى قريبا منها ، ولا حتى إرسال مراقبين دوليين لمنع استمرار نزيف الدم الفلسطينى ، أى إطلاق يد إسرائيل فى استمرار قتل الفلسطينيين واجتياح مدنهم وقراهم ، وتدمير بيوتهم واعتقال أبنائهم ، وهو ما فهمته إسرائيل مباشرة ، فكثفت عدوانها عقب إلقاء خطاب بوش مباشرة .

- هجوم بوش على إيران والعراق وسوريا بدعوى مؤازرة الإرهاب يحدد بالضبط حقيقة البيان ، فالهدف منه هو إنذار كل من تسول له نفسه بدعم الكفاح الفلسطينى ، والتمهيد بداهة لإطلاق يد إسرائيل فى عدوان متوقع على لبنان وسوريا ، وكذلك تمهيد الأجواء للعدوان الأمريكى على العراق ، أى هو إنذار لتهدئة الأحوال ، وتخويف الجميع بالهجوم عليهم ، ياسر عرفات والسلطة ، سوريا ولبنان الدول المعتدلة التى لم تبذل مجهودا حقيقيا فى منع الإرهاب من وجهة النظر الأمريكية وبالتالى شل قدرتها على الحركة حتى لا تُتهم بمالأة الإرهاب ، وبالتالى يتم تجميد الأوضاع تمهيداً للعدوان على العراق ، ومن المعروف أن الرئيس بوش قد كلف المخابرات الأمريكية بالإعداد للإطاحة بالنظام العراقى ، وهذا يستوجب بالطبع ترتيب أوضاع معينة فى المنطقة جاء البيان الأخير ليكرسها .

- لعلى من المفيد هنا أن نذكر بأن سجل الولايات المتحدة الأمريكية حافل باغتيال الزعماء والإطاحة بأنظمة الحكم الوطنية ، ومن المفيد أن نربط بين دعوة الرئيس بوش للإطاحة بالرئيس عرفات ومن قبله دعوته للإطاحة بالرئيس صدام حسين ، وهو أمر بالطبع لا يتفق مع مزاعم الديموقراطية ولا احترام إرادة الناخبين ، لأن الرئيس بوش مثلا أعلن أنه لا يمكن التعاون مع عرفات حتى لو تم انتخابه ثانية رئيسا للسلطة عن طريق انتخابات نزيهة ، ومن البدهى أن دعوة الرئيس الأمريكى لتحقيق الديموقراطية المزعومة ، أو هياكل السلطة الفلسطينية أو غيرها لا يمكن تحقيقه فى ظل الاحتلال !!.. وإلا كان بمثابة وضع الحصان أمام العربة ، فكيف يكون هناك ديموقراطية في وجود محتل أجنبى ؟.. أم أن الرئيس بوش أصبح منظرا ومفكرا سياسيا رائدا يدخل مفاهيم جديدة فى علم السياسة الدولية .

- يتفق مع ما سبق الحديث عن دولة فلسطينية مؤقتة ، وهو أمر جديد فى علم السياسة يدخله المفكر العالمى بوش !!.. وهو مفهوم يعاكس المنطق ، فالواضح والمباشر والصحيح أن إنهاء الاحتلال يؤدى حتما إلى

قيام دولة ، أما تعليق الاحتلال فهو لا يضمن لا الانسحاب ولا الدولة ، وبدهي أن كلمة مؤقتة تعني أنها قد تكون موجودة اليوم وغير موجودة غداً ، والأفضل أن نسميها دولة على الإنترنت لها بريد إليكتروني لا أكثر ، وهي المرة الأولى طبعا في التاريخ التي نسمع فيها عن دولة مؤقتة ، فالاحتلال أو الانتداب مثلا قد يكون مؤقتا أما الدولة فموجودة أو غير موجودة والحكومة يمكن أن تكون مؤقتة أما الدولة فلا يمكن بالطبع .

وهذه الدولة المؤقتة المزعومة غير محددة الحدود ولا المساحة ، أي دولة مطاطة تخضع لمزاج وهوى الإسرائيليين ، فيمكن أن يجتاحوها في أي وقت أو يلغوها ، أو يمطونها أو يضغطوها على هواهم ، ورغم كل ذلك فإن شارون لم يقبل حتى هذه اللحظة ، أي نوع من أنواع الدولة الفلسطينية حتى لو كانت دولة على الإنترنت ذات بريد إليكتروني !..

أكثر من هذا فإن ما سوف تنسحب منه إسرائيل أي من الأراضي التي اجتاحتها منذ ٢٩/٣/٢٠٠٢ مع بناء الطرق والمستوطنات والجدار العازل والحاجات الأمنية للجيش الإسرائيلي لا يصح بالضرورة لقيام دولة طبيعية ، هذا مع افتراض نجاح الخطة ، أي الإطاحة بعرفات والإتيان بسلطة موالية ديموقراطية !!.. وقضاء تام على المقاومة الفلسطينية !!.. لا يمكن أن تقوم دولة من أي نوع مؤقتة أو انتقالية تكون قابلة للحياة على ما تبقى من الأراضي حسب الخطة الأمريكية ، لأن شرط التواصل بين مدن وقرى تلك الدولة سيكون مفتقدا ، والتنقل بينهما يخضع للسلطة الإسرائيلية ، والجدار العازل سيقسمها طوليا وعرضيا ، ويتسع ويضيق مجاله الحيوي حسب الحاجة ، والمحصلة استحالة إقامة دولة أو حتى كيان طبيعي من أي نوع قابل للحياة .

- خطة السلام الأمريكية - المزعومة - مستحيلة التنفيذ عمليا ونظريا ، فاشتراط قيام الدولة بالقضاء على المقاومة هو شرط مستحيل ، لأن إرادة الشعوب لا تموت ، والمقاومة لا يمكن القضا عليها حتى لو اختفت كل حركات المقاومة الحالية ، فسيخرج من الدم الفلسطيني والعربي من يقاوم ، ولو خططت أمريكا وإسرائيل لمنع المقاومة لفشلت وهذا درس التاريخ في كل مكان وليس في فلسطين فقط ، والأمريكان يعرفون ذلك ، والإسرائيليون أيضا ، وهكذا فوضع هذا الشرط هو بمثابة إلغاء للنتيجة مقدما ، وبالتالي لا يمكن أن يقع في هذا الوهم إلا مجنون ، وبالتالي فلا يمكن النظر إلى البيان الأمريكي كخطة سلام ، بل هو إنذار ليس إلا ويؤكد هذا الأمر أن الرئيس بوش اشترط تغيير الرئيس عرفات حتى لو تم انتخابه انتخابا نزيها مباشرا ، وبدهي أن الدعوة الأمريكية والإسرائيلية إلى الإطاحة بعرفات تزيد شعبيته ولو من باب العناد مع أمريكا وإسرائيل ، ومن الصعب إذن الإطاحة به ديموقراطيا وانتخابيا لأسباب كثيرة ، وبالتالي

فإن وضع هذا الشرط هو دعوة للاستحالة ، أى أن الخطة المزعومة تهدم نفسها بنفسها ، إنها مجرد إنذار كما قلنا ، وليس هناك نية أمريكية ولا إسرائيلية فى الانسحاب ولا إقامة دولة طبيعية ، وليس هناك سوى الحل على طريقة تحويل الفلسطينيين إلى شعب خاضع تماما ، وحراسته بحكومة عميلة على طريقة حكومة حامد قرضاى فى أفغانستان ، وحراسة أمن إسرائيل بتلك السلطة وبالدول العربية المجاورة التى عليها أن تمتنع عن دعم المقاومة ، وإلا فالسيف الأمريكى جاهز !!..

●●●

كان من الممكن أن نصف البيان الأمريكى كما فعل الأستاذ سلامة أحمد سلامة فى أهرام ٢٠٠٢/٦/٢٧ بالقول بأنه بيان متأخر جداً ، أو منحاز جداً .. ونضيف إنه سئ جداً وظالم جداً ، أو نضع كل الصفات السيئة وبجوارها كلمة جداً ، ولكن الحقيقة أنه ليس ببيان ولا خطة ، بل هو إنذار وليس شيئا آخر .. إنذار بوقف العمليات الاستشهادية وإلزام الحكومات والإعلام العربى بإدانتها ، إنذار للعراق وإيران وسوريا ولبنان بالخضوع للمنطق الإسرائيلى والامتناع عن تشجيع أو دعم المقاومة وإلا فإنه العقاب والعدوان !!..

إنذار بحل حركات المقاومة ، حماس والجهاد وحزب الله ، إنذار بضرورة التطبيع مع الكيان الصهيونى بالنسبة للدول العربية ، مع التلويح بكلام لا قيمة له عن دولة مؤقتة ، إنذار بعدم الحديث عن اللاجئين والقدس والحدود وتأجيل ذلك سنوات طويلة أو إلى الأبد !!..

وكان من الطبيعى أن يحظى الخطاب الأمريكى بالترحيب الإسرائيلى على كل المستويات وكذا ترحيب كل القوى والمنظمات المؤيدة لإسرائيل ، فالخطاب وكأنه قراءة لأفكار شارون أو أكثر !!.. واعتبرت الصحف الإسرائيلية بنود البيان بمثابة انتصار صريح لإسرائيل بل وطالبت الصحافة الإسرائيلية بمنح الرئيس الأمريكى وسام الصهيونية اعترافا بجميله ، وأعرب شارون عن سعادته بالبيان وأعرب مكتب رئيس الوزراء عن أن ما قاله بوش هو نفس ما يقوله شارون دائما بأنه لن يتسنى بحث سبل السلام ما لم يتوقف العنف والتحريض والإرهاب بصورة تامة فى المناطق الفلسطينية ، وإدخال إصلاحات حقيقية وديموقراطية على السلطة الفلسطينية !!..

وقد عبر بنيامين بن اليعازر عن الشئ نفسه وكذا شيمون بيريز وأوساط حزبى العمل والليكود ، وقال بن اليعازر إن البيان يمثل علاقة تاريخية وأنه يتميز بأفق أمنى لإنهاء الصراع ، وأن مفتاح تنفيذ خطة بوش يكمن فى تغيير القيادة الفلسطينية الحالية والتنصل من سياسة الإرهاب والتحريض .

أما وزير المواصلات الإسرائيلى ريوفين ريفيلين فقال : إن الخطاب الذى ألقاه الرئيس

الأمريكي حول الشرق الأوسط كان يمكن أن يكتبه مسئول في حزب الليكود ، وأضاف : إنه كان بإمكاني شخصيا أن ألقى نفس البيان أمام الكنيست الإسرائيلي ، واعتبر الوزير الإسرائيلي بلا وزارة داني نافيه أن الخطاب الأمريكي يمثل نهاية لعصر عرفات ، وأن البيان يشكل انتصارا لإسرائيل ، وقد دارت معظم تعليقات المسئولين الإسرائيليين حول البيان حول نفس المعاني فهو كارت أحمر لعرفات والفلسطينيين والعرب ، وهو انتصار كامل لإسرائيل ، وهو ترديد للرواية الإسرائيلية ، وقد اعتبرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن الرئيس الأمريكي جورج بوش أصبح عضوا في حزب الليكود ، وعلى مستوى اللوبي الصهيوني في أمريكا كان نفس الترحيب ، فقد أعربت منظمة "إيباك" عن سعادتها بالبيان الذي وجه رسالة حازمة إلى الفلسطينيين ، وأنه وضع عرفات في منزلة متساوية مع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة ومكافحة الإرهاب على الطريقة الأمريكية الإسرائيلية فوق إيجاد تسوية سياسية للصراع العربي الإسرائيلي .

وكان من المتوقع بالطبع أن يرحب قادة الرأسمالية والشر في العالم متمثلين في قمة الثمانية الكبار في كندا بخطة بوش وإن كان هناك بعض التحفظ حول إزاحة عرفات !!.. وهو تحفظ لا يقدم ولا يؤخر بالطبع فالقضية طبعا ليست قضية عرفات .

وكان من المتوقع طبعا أن تعارض القوى المجاهدة ، حماس ، الجهاد ، حزب الله ، وكذا الدول التي اعتبرتها أمريكا من رموز الشر ، إيران ، العراق ، ليبيا ، سوريا ، لبنان .. هذا البيان ، إلا أن الغريب بالطبع أن ترحب مصر بالبيان وإن كانت قد تحفظت عليه سواء في تصريحات الرئيس مبارك أو وزير الخارجية السيد أحمد ماهر أو الصحف الرسمية وغير الرسمية المصرية ، ولكن الذي يدعو إلى الدهشة موافقة السلطة الفلسطينية والسيد ياسر عرفات شخصيا على البيان ، رغم أن البيان نفسه لا يعطي الفلسطينيين إلا وعوداً مُهمشة بدولة مؤقتة في غضون ثلاث سنوات قد يكون الرئيس بوش نفسه وقتها غير موجود في البيت الأبيض .

ورغم أن البيان أطلق شارون من كل ما يقيده لقمع الفلسطينيين وهو ما فعله شارون عقب البيان مباشرة حيث كثف الجيش الصهيوني عدوانه على المدن الفلسطينية بما فيها مقر قيادة السلطة في المقاطعة بمدينة رام الله ، لأنه بعد بيان بوش لم يعد هناك ما يمنع إسرائيل وشارون من الإطاحة بعرفات الذي طلب بوش مباشرة من الشعب الفلسطيني - أو شارون بالأحرى - استبداله ، وهكذا فإن السيد عرفات الذي فعل كل شئ لإرضاء الأمريكان ، من إدانة العمليات الاستشهادية بل ووصفه لمن يقومون بها بأنهم مرتزقة ، واتهامه لدول معينة - إيران وسوريا - بأنها تدعمها وتحركها ، وبرغم كل شئ فإن الأمريكان لم يرضوا وطالبوا بإزاحة عرفات ، ومع ذلك يستمرئ السيد ياسر عرفات سلوك

العبيد ، ويتلذذ بالإذلال الأمريكي ويعلن تأييده للبيان الذي ألقاه بوش !!..

وقد يبرر البعض ذلك بأن هذه الموافقة جاءت لأنه ليس هناك هامش للمناورة الفلسطينية أو أنه لكي لا يُتهم الفلسطينيون بإضاعة فرص السلام ، أي فرص ؟!.. وأي سلام ؟!.. وهو عذر أقبح من ذنب ، لأن هذه الموافقة لا تعني إلا الاستخذاء ولن تجلب للفلسطينيين إلا المصائب ، وهي تفتّ في عضد الانتفاضة والمقاومة وهو الرهان الوحيد القادر على انتزاع أي حقوق ، ومحاولة الإيحاء بخداع أمريكا لن يجدي فالعدوان زاد عقب البيان ، وشارون أعلن عن نيته الاستعداد لعملية مكثفة ضد حماس ، والاعتداء على جنود السلطة وتصفيتهم قائم على قدم وساق منذ صدور البيان !!..

والبيان ذاته ليس فيه أي جديد عما يقوله ويفعله شارون ، فالبيان لم يطالب بوقف العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين فوراً !!..

ولم يطالب بالانسحاب ، ولم يقدم إلا مزيداً من الأعباء والشروط والالتزامات والمطالبات على الفلسطينيين ، معتبرا شارون بريئا ، وعرفات مذنبا ، وأن الإسرائيليين يدافعون عن أنفسهم ، والفلسطينيون إرهابيون يستحقون العقاب !!..

خطة بوش ، أو البيان الأمريكي - والصحيح إنه الإنذار الأمريكي، هو نقلة كمية ونوعية في اتجاه المزيد من بلورة مرحلة البلطجة الأمريكية والصهيونية في العالم ، والتي تتمثل في التحول من الكولونيالية إلى الفوضوية ، وبدلا من سياسات الاحتواء والتوازن فإن سياسة القمع والضرب والعدوان على كل ما يحتمل بحق أو بباطل أنه يمثل تهديدا للمصالح الأمريكية ، أو لا يوافق على طول الخط على الأجندة الأمريكية أو الحرب الوقائية - وما هي بوقائية بل عدوانية - في أي مكان من العالم خدمة لمصالح الاحتكارات الرأسمالية والعسكرية ، هذه الخطة بالطبع لا تحمل أي قدر من إمكانية النجاح ، وحتى الذين يؤيدون إسرائيل وأمريكا يعرفون ذلك ، إنها إعلان العدوان على العرب والفلسطينيين ولا فرصة بالمرة لتحقيق تسوية وفقا لهذه الخطة ، وصحيفة الجارديان البريطانية عبرت عن ذلك مباشرة في مقال لها (٢٠٠٢/٦/٢٨) بقولها :

"إن خطة الرئيس بوش للسلام في الشرق الأوسط دعوة للحرب لا السلام ومحكوم عليها بالفشل ، وأن خطاب بوش خيالي وغير

بوش

واقعي ولا تكاد تكون له علاقة بالواقع فى الشرق الأوسط ، وجاء بلا منطق - وهو يعبر عن بلاهة تفكير بوش ، وأن بوش أعطى ضوءاً أخضراً لشارون لمواصلة سياسته القائمة على استخدام القوة العسكرية المقترنة برفض تجميد بناء المستوطنات فى الضفة الغربية" .

وإذا كان الأمر كذلك ، بمعنى أن ما تم حتى الآن يعنى مباشرة أنه لا سلام هناك ، بل دعوة للخضوع الكامل واستمرار القمع والعدوان فهل يدرك العرب والفلسطينيون استحالة السير فى طريق الموت والدمار بأرجلهم ، وإلا كانوا حقا مجانين .

نرجو أن يعود العرب والفلسطينيون إلى العقل ، ويكفوا عن المراهنة على السلام الإسرائيلى الأمريكى ، بل يراهنوا على خيار المقاومة وهو الخيار الوحيد المتاح الذى إن لم يتحقق شئ من الحقوق ، فعلى الأقل يحافظ على الكرامة من أجل الأجيال القادمة .

مأساة الإسكندرية

يبدو أن الإسكندرية وشعبها الإيجابى على موعد مع الظلم والمأساة وانتهاك حقوق الإنسان وفى غضون ثلاثة أشهر ، دفعت ثمنا باهظا لانتهاكات السلطة ، المرة الأولى عندما تم إطلاق الرصاص على المتظاهرين المتضامنين مع انتفاضة الشعب الفلسطينى وسقط شهيد وجُرح عدد من الطلبة لايزالون حتى هذه اللحظة يعانون من آثار تلك الجراح ، وربما فقد بعضهم عينيه مثلا .. والمرة الثانية عندما قامت السلطات الحكومية بأوسع عملية تدخل فى العملية الانتخابية متحدية بذلك مشاعر شعب الإسكندرية وتحديدا دائرة الرمل .

كانت الحكومة قد عطلت الانتخابات البرلمانية فى دائرة الرمل منذ حوالى العامين ، وكانت نتائج الدورة الأولى هى الإعادة بين مرشحين من الإخوان المسلمين وآخرين من المستقلين ، ويبدو أن هذه النتيجة لم تعجب جهة الإدارة فعطلت المسار الانتخابى ، ثم تباطأت فى إجراء الانتخابات حتى مر عامان ثم عادت وأجرت الانتخابات فى المواعيد الملائمة لها ، وهذا أول الضغوط والتدخلات ، ثم قامت بالتضييق على مرشحى الإخوان بالتحديد ، وتدخلت بكل الوسائل بما فيها زيارة كبار المسئولين الحكوميين إلى دائرة الرمل لتأييد مرشحى الحزب الوطنى ، وليت الأمر اقتصر على هذا ، بل إن الأوامر صدرت بإسقاط مرشحى الإخوان بأى ثمن ، وبدأت الشرطة تعتقل كوادر الإخوان النشيطة فى الدعاية الانتخابية ضاربة عرض الحائط بتكافؤ الفرص ، ووصل الأمر إلى حد اعتقال زوج المرشحة الإخوانية السيدة جيهان الحلفاوى أما المأساة الكاملة فكانت يوم الانتخابات ، حيث سيطرت الشرطة تماما على المساحة المحيطة باللجان الانتخابية ، ومنعت أى ناخب يُشتمْ منه تأييده لمرشحى الإخوان من الاقتراب من لجان الانتخاب ، بل واعتدت على الأخوات المحجبات ، الأمر الذى أصاب أهل الإسكندرية بالدهشة والغضب ، فلماذا

كل هذه التجاوزات أمام سمع العالم وبصره ؟. لماذا يتم هذا التزوير المفضوح أمام عدسات القنوات الفضائية العالمية والمحلية والعربية ، الأمر الذى يعكس مدى استهتار الحكومة بالرأى العام السكندرى والمصرى والعربى والعالمى ، وماذا كان يضير الحكومة لو أجرت انتخابات نزيهة ونجحت مرشحة الإخوان السيدة جيهان الحلفاوى ؟.. هل كان ذلك سيحدث انقلابا دستوريا مثلا ، أو يهدر أغلبية الحزب الوطنى ؟!!.. بالطبع لا ..

على كل حال فإن الجماهير تعرف كل الحقائق ، وقد نقلت شاشات القنوات الفضائية كل شئ على الهواء ، وقد كسب الإخوان تعاطفا كبيرا ، وأثبتوا أنهم يحترمون المرأة بدليل أنهم رشحوا السيدة جيهان الحلفاوى ، فى حين أن الحكومة لا تحترم المرأة ولا الرجل ، وقد يكون مكاسب الإخوان فى تلك المعركة الانتخابية أكبر بكثير مما لو كانوا قد حصلوا على المقعدين ، ولكن المهم أن نقول إن ما حدث من تزوير وضغوط وانتهاكات يشير إلى أن تلك الحكومة لن تتورع عن التزوير وأنه لا فائدة من الآمال المعقودة على إمكانية إصلاحها ، ولعل هذا يقودنا إلى سؤال حول جدوى مشاركة الإخوان المسلمين فى الانتخابات عموما والبرلمانية منها خصوصا ، ثم لماذا لا يكون للإخوان موقف ؟.. فينسحب نوابهم من مجلس الشعب ويطالبوا باقى نواب المعارضة بالأمر نفسه ، ويتركون المجلس للحكومة وللحزب الوطنى تفعل به ما تشاء فهل يفعل الإخوان ذلك ؟!!..

الجماعة الإسلامية فى مصر
من الصدام مع الجميع
إلى التصالح مع الجميع

التطورات الهامة على المستويين الفكرى والسياسى ، والتى شهدتها الجماعة الإسلامية فى مصر ، وهى إحدى أهم جماعات العنف السياسى فى مصر - سابقا - تستحق وقفة تأمل وتحليل نظراً لما تتمتع به تلك الجماعة من انتشار واسع خاصة فى منطقة الصعيد - جنوب مصر ، وكذلك لأنها كانت أكبر جماعات العنف فى مصر وظلت لفترة طويلة من ١٩٨١ - ١٩٩٧ من أكثر تلك الجماعات قدرة على تنفيذ عمليات عنف مختلفة بأكثر من وسيلة وفى أكثر من مكان ، بمعنى أن تلك الجماعة كانت هى الرقم الأهم والصعب فى جماعات العنف ، وطالما شكلت تحديا هائلا على المستويين السياسى والأمنى .

التطورات التى شهدتها الجماعة من مبادرة وقف العنف ثم إصدار كتب المراجعات الأربعة ثم تصريحات وأقوال قادتها التاريخيين ومنظريها وفقهائها مع مجلة المصور على أكثر من مرة ، تشكل فى مجموعها نقلة كمية ونوعية لتلك الجماعة ، سيؤثر بالضرورة على شكلها المستقبلي لدرجة أن البعض وصل إلى تحليل أنها باتجاه نهايتها وكذلك ستؤثر على

شكل العمل الإسلامي المصرى ، وعلاقة التيار الإسلامي في مجمله بالمجتمع والدولة وجهاز الحكم .

ويمكننا أن نلخص تلك التطورات فى مسارين رئيسين الأول هو إدانة العنف وبالتالى التوقف عنه تماما ، واعتبار ما حدث منه كان خطأً شرعياً وسياسياً ، والثانى هو إبداء استعداد الجماعة لتأييد مواقف الحكومة المصرية فى مختلف القضايا ، فهل يصل هذا المسار الأخير إلى حد تحول الجماعة إلى ذراع لأجهزة الدولة ؟.. أم هل تظل الجماعة على مسافة ما من الجهاز الحكومى وإلى أى مدى ستقودها تلك التطورات الأخيرة ؟!..

وهل كان ما حدث مفاجأة ؟!.. أم أن بدايات نشأة تلك الجماعة وطريقة تفكيرها ومرجعياتها كانت تؤهلها لذلك التطور ؟!..

وحتى يمكن وضع تصور صحيح ، وبالتالى الإجابة على الأسئلة المطروحة لابد من تتبع نشأة وتطورات تلك الجماعة حتى اليوم وكذا علاقاتها بمختلف جماعات العنف ، ثم علاقتها بمختلف أنواع التيار الإسلامي والسياسى .

علاقة التيار السياسى الإسلامي بالعنف فى مصر المعاصرة علاقة قديمة ذلك أن كل حركات الاحتجاج والكفاح ضد الاستعمار فى المنطقة العربية وفى مصر خصوصا كانت إسلامية الطابع والجذور ، ونستطيع أن نلمس أثر الإسلام واضحا فى ثورات المصريين ضد الفرنسيين من ١٧٩٨ - ١٨٠١ ثم ضد حملة فريزر الإنجليزية سنة ١٨٠٧ ثم الكفاح السرى للحزب الوطنى المصرى فى بداية القرن الماضى ومعظم الجمعيات السرية التى خرجت من معطف الحزب الوطنى قبل وبعد ثورة ١٩١٩ مثل جمعية الانتقام وجمعية عبد الفتاح عنايت "مقتل السردار الإنجليزى السير لى ستاك" وغيرها كانت متأثرة بالدوافع الإسلامية ، ثم ما مارسه الإخوان المسلمين من عنف ، وخاصة الجهاز السري ضد الوجود اليهودى فى مصر ، أو ضد الإنجليز ، أو ضد رموز الحكم "النقراشى" أو ضد أحد القضاة وغيرهما ، ونلاحظ أن وجود الاستعمار والكفاح ضده كان مبررا معقولا للعنف ، وكانت ولاتزال الأعمال الأخرى ضد الرموز السياسية أو القضاة وغيرهم مثار جدل كبير ، على كل حال فإن الخروج الثانى للإخوان المسلمين فى السبعينيات من القرن الماضى ارتبط بإدانة الجماعة للعنف ونبذه تماما .

ولكن فى المقابل ظهر عدد آخر من جماعات العنف السياسى بعضها ظهر واضمحل فى السبعينيات مثل جماعة التكفير والهجرة التى أسسها شكرى مصطفى ونشطت فى السبعينيات ، وتعد حادثة اغتيال الشيخ الذهبى وزير الأوقاف عام ١٩٧٧ هى أهم أعمال العنف التى قامت به هذه الجماعة وتم على أثرها اعتقال عدد كبير من كوادرها وإعدام أهم قادتها ، وحدثت بتلك الجماعة تطورات مختلفة وانقسامات ، ولكن أحد امتداداتها ظهر مرة أخرى فى عام ١٩٨٧ "جماعة الناجون من النار" وقامت بمحاولة

اغتيال كل من النبوى إسماعيل وحسن أبو باشا وزيرى الداخلية السابقين ، وقد ضعف هذا التيار فيما بعد .

ومن جماعات العنف - جماعة الجهاد - وهى الأكثر عنفا وتطرفا فى هذا الصدد ، وقد نشأت تلك الجماعة عام ١٩٥٨ على يد شاب يُدعى نبيل البرعى الذى كون الخلية الأولى لتلك الجماعة عام ١٩٦٠ من عدد من أصدقائه مثل إسماعيل الطنطاوى ، ومحمد عبد العزيز الشرقاوى ، واعتبر هؤلاء أن العنف هو السبيل الوحيد للتغيير ، وأن فكر ابن تيمية هو المرجعية لهم ، وانضم عام ١٩٦٦ عدد آخر من أهم عناصر تلك الجماعة ومنهم أيمن الظواهرى الذى يقود الجماعة حاليا وقد نفذت تلك الجماعة أو شاركت فى عدد من أعمال العنف فى السبعينيات منها عملية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ ومحاولات يحيى هاشم للتمرد والاعتصام بجبال الصعيد ، وغيرها من العمليات ، كما شاركت تلك الجماعة فى عملية اغتيال السادات ومحاولة الانقلاب عام ١٩٨١ ، كما ظلت تمارس العنف حتى اليوم ، وتحالفت فى النهاية مع تنظيم القاعدة وهى متهمة بالمشاركة فى أحداث ١١ سبتمبر ، ولاتزال تلك الجماعة تحظى بالحضور - ولكن فى حدود قليلة - عالميا ومحليا ، وهى ترفض وقف العنف ، ورفضت مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧ ، وتعد تلك الجماعة هى الجماعة الثانية من حيث الانتشار بعد الجماعة الإسلامية فى تيار العنف .

الجماعة الأهم والتى نحن بصددها هى الجماعة الإسلامية ، والاسم فى حد ذاته يحتمل التداخل مع جماعات أخرى ، ذلك أن جماعات الطلبة فى الكليات والجامعات المصرية كانت تحمل الاسم نفسه ، ويمكن أن تكون منتمية للإخوان المسلمين أو مستقلة أو خليط ، المهم أن الاسم أصبح علما على تلك الجماعة ، ويفهم المقصود به من سياق الكلام وربما التصق الاسم بها لأنها نشأت من خلال العمل الطلابى الجامعى فى جامعات الصعيد خصوصا ويعد عام ١٩٧٨ هو العام التأسيسى للجماعة ، حيث بدأت الجماعة تستقل وتتميز عن باقي التيارات ، وظهرت منشوراتها تحمل شعارها المكون من مصحف مفتوح يخرج منه مصحف أصغر وأشعة نور ، ثم تطور الشعار إلى ذراع قوية تحمل مصحفا مفتوحا وبذلك أصبح من السهل التمييز بينها وبين الإخوان المسلمين الذى يتكون شعارهم من سيفين متقاطعين ومصحفاً .

كان المؤسس الأول للجماعة هو صلاح هاشم وكان طالبا فى هندسة أسيوط ، وقد خرج من الجماعة فيما بعد ، ويعد ناجح إبراهيم هو أول متحدث رسمى باسم الجماعة فى عام ١٩٧٨ حيث تم اختياره رئيسا لاتحاد طلاب جامعة أسيوط فى ذلك العام ، حيث سيطرت الجماعة على الاتحادات الطلابية بجامعات الصعيد فى

ذلك الوقت بينما سيطر الإخوان المسلمون على اتحاد جامعات وجه بحرى والقاهرة ، وكان من قيادات الجماعة فى ذلك الوقت كل من كرم زهدى "أصبح الأمير حاليا - أسامة رشدى - عاصم عبد الماجد - عصام دربالة ، على الشريف ، ويُطلق على هؤلاء حاليا اسم القادة التاريخيون للجماعة الإسلامية ، واستطاعت الجماعة أن تستقطب الدكتور عمر عبد الرحمن إلى صفها ، وأصبح مفتيا لها لفترة طويلة حتى اعتقاله وسجنه فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تميز نشاط الجماعة الإسلامية فى السبعينيات بالعمل العلنى ، كما دخلوا فى مفاوضات ومساومات مع أجهزة الحكم فى محافظات الصعيد ، ولعل هذه النشأة فى حد ذاتها أثرت على تكتيكات الجماعة دائما ، بل يُقال إنها حصلت على دعم غير منظور من أجهزة الحكم فى محافظات الصعيد لتحقيق نوع من التوازن مع المسيحيين واليساريين .

وهكذا فإنها ليست مفاجأة أن تعود الجماعة إلى خطها السياسى الأول ، المساومات والعمل العلنى ، بل إن تورطها فى العنف لم يكن - فى رأيى - جزءاً أصيلا فى تكوينها الفكرى ، بل كان رد فعل نتيجة نجاح الاتجاهات اليسارية فى إقناع الحكومة المصرية بضرورة منع نشاط الإسلاميين عموما ، والجماعة الإسلامية خصوصا ، وكذا سهولة الحصول على السلاح فى الصعيد ، والتركيبة الصعيدية لتلك الجماعات "الثأر" وهو ما أدى إلى الحوادث الضخمة طوال الثمانينيات وحى عام ١٩٩٧ التى نفذتها الجماعة .

فى عام ١٩٨١ اشتركت الجماعة الإسلامية مع تنظيم الجهاد فى محاولة انقلاب واغتيال الرئيس السادات ، ونجحت تلك الجماعة فى السيطرة على مدينة أسيوط لمدة قصيرة ، ومع فشل الانقلاب وعدم اكتماله بدأت حملة مطاردة لعناصر الجماعة وتعرضت للمحاكمات والمطاردات ولكنها ظلت تمارس نشاطها علنا وسلما حتى عام ١٩٨٧ ، وكانت الجماعة قد فكت تحالفها مع جماعة الجهاد عام ١٩٨٤ بنهاية المحاكمات التى طالت عناصر الجماعتين ، واختارت العودة إلى الطريق العلنى والسلمى حتى عام ١٩٨٧ حيث فرضت عليها الأحداث أن تعود إلى العنف من جديد ، حيث تم اغتيال عددمن قادتها العلنيين "الدكتور علاء محيى الدين" عام ١٩٨٨ ، كما تعرضت الجماعة لحملة اعتقالات وتصفيات واسعة فى عام١٩٨٧ ، ونفذت الجماعة منذ عام ١٩٨٧ - ١٩٩٧ عددا من العمليات ضد رموز الثروة والسياحة والسياسية لعل أهمها عملية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب ١٢/ ١٠/ ١٩٩٠ ، عملية اغتيال اللواء رءوف خيرى ١١/ ٤/ ١٩٩٤ ، محاولة اغتيال الرئيس المصرى فى أديس أبابا ٢٦/ ٦/ ١٩٩٥ عملية الدير البحرى بالأقصر يوم الأثنين ١٧/ ١١/ ١٩٩٧ .

بعد ذلك ومن خلال المراجعة والقراءة والحوار

على حد قول زعمائهم ، وهى المبادرة التى وقع فيها القادة التاريخيون على بيان لوقف العنف وكانت قد سبقتها محاولات أطلقها بعض الأفراد من الجماعة عام ١٩٩٦ "مبادرة خالد إبراهيم" .. وكذا محاولات وساطة قامت بها بعض الشخصيات بين الجماعة والوزير عبد الحليم موسى عام ١٩٩٣ إلا أنها اجهضت وتمت الإطاحة بالوزير عبد الحليم موسى .

وبعد صدور أربعة كتب عن الجماعة تراجع فيها فكرها ، وتنبذ العنف ، وتضع الأدلة الشرعية لهذا الأمر نقلة هامة فى هذا الصدد ، وهى كتب سميت "المراجعات وصدرت ٢٠٠١" ، وبدأت الإفراجات تتم عن عناصر الجماعة الذين أنهو مدة العقوبة ومنهم قادة كبار وفقهاء تابعون للجماعات ، ويمكننا أن نلخص الأفكار الجديدة من خلال كتب المراجعات ، وحوارات القادة والفقهاء مع مجلة المصور كالتالى :

- كل صور الخروج على الحاكم بما فى ذلك السادات أدت إلى مفاسد كبيرة وكثيرة وكلها محرمة شرعاً .

- أن الجماعة كانت تقدم النص على المصلحة وهذا خطأ فى الدين ، لأن المصلحة فى فقه الواقع تتقدم على النص وهى التى تحكم على صوابه لأن النصوص جاءت لتحقيق المصالح .

- أن الجماعة أخطأت حين تجاهلت الواقع الذى يعيشه المجتمع واستعارت أحكام وفتاوى صدرت فى بيانات مختلفة لتطبيقها قسراً على واقع مختلف .

- الأخذ بظاهر النص دون التعمق فى المفاهيم .

- أخطأت الجماعة فى موضوع تكفير الحاكم استنادا إلى النص الذى يقول : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ، رغم ما اصطلح عليه معظم الفقهاء على أن الحاكم الذى يأخذ بالتوحيد ولا يحكم ببعض الشرائع لا يكون عاصيا ولا كافرا ، خصوصا إذا تبين له أن تطبيق بعض أحكام الشريعة سوف يجلب من المفاسد أكثر مما يجلب من المنافع ، كأن تثور الفتنة بين عناصر الأمة ، أو يجلب تطبيق هذه الأحكام ضررا على البلاد أو تتعرض لضغوط المجتمع الدولى أو تواجه ظروفا داخلية صعبة .

- ليس معقولا المطالبة بتطبيق عقوبة الزنا فى ظل أزمة الزواج .

- لا يمكن تطبيق حد السرقة على مجتمع فقير جائع .

- مجتمعنا مجتمع مسلم والحكومة مسلمة ومؤسساتها إسلامية وشرعية .

- تأييد الدولة فى بعض مواقفها !!..

وإذا تأملنا تلك الأفكار ، نجد أن الجماعة تتقلب من التطرف فى العنف إلى التطرف فى الموافقة على كل شئ ، ولاشك أن هذه قراءة خاطئة مرتين ، المرة الأولى حين تجاهلت

الجماعة الواقع ، وسارت في طريق العنف ، ولم تقدم أطروحة سياسية ، ولا مطالب تتبنى حاجات الناس أو تبرر هذا العنف ، ومرة ثانية حين أوقفت العنف ، وهذا أمر جيد ، ولكن واصلت الخطر حتى وقعت في تأييد الحكومة ، وهذه قراءة خاطئة للواقع ، لأن هناك أزمة بطالة وفساد وتزوير انتخابات وتهاون في القضايا الوطنية وخاصة القضية الفلسطينية ، وبالتالي فإن تأييد الحكومة في هذا الظرف تحديدا خيانة للجماهير أو على الأقل موقفا غبيا وغير أخلاقي .

على أنه من الناحية الأخرى فإن أفكار تهيئة الظرف لتطبيق الشريعة أو مراعاة عامل المصلحة في ذلك والضغوط الدولية ، أو تقديم المصلحة على الناس ، فهي أمور جيدة ولكن لها ضوابطها الشرعية ومن المفيد طبعا أن يأخذ فقهاء الجماعة ذلك في اعتبارهم ، أي مسألة تأثيم الخروج "الثورة" في كل الأحوال ، فهذا هراء لا يستحق المناقشة ، فلكل حالة ظروفها ومحدداتها بالطبع وفقا لعوامل كثيرة منها النص والظروف والمصلحة وطبيعة من نثور عليه .. إلخ .

الأسئلة المطروحة على الساحة السياسية هي إلى أين تصل الجماعة الإسلامية في النهاية ؟ هل بتأييدها للحكومة - واستعداء بعض عناصرها كما جاء في الحوار معهم في المصور لإبلاغ السلطات عمن يعارض وقف العنف - إلى التحول إلى تابع لجهاز الحكم ؟.. أو هل يتحالفون أو يدخلون في الحزب الوطني مثلا مادامت الحكومة مسلمة والمجتمع إسلامي ، ومؤسساتها إسلامية وشرعية ؟.. وهل تستخدم الحكومة الجماعة في ضرب الإخوان مثلا ؟.. أو تستعيض بالجماعة عن التحالف مع اليساريين وهي السمة التي شهدتها الثمانينيات والتسعينيات وخاصة في المجال الثقافي.. أم يصل الأمر في النهاية إلى اضمحلال الجماعة بعد أن تفقد مبرر وجودها ، فمادامت هي لا تعبر عن مطالب الجماهير ، وتوافق الحكومة رغم الفقر والبطالة والفساد والتهاون الوطني وتزوير الانتخابات ، فما مبرر وجودها أصلا ، وبدهي أن الحكومة لن تستفيد كثيرا من الجماعة في هذا الصدد ، فلديها من الإعلام والكتاب والأمن ما يكفي.

والسؤال الأهم : ما أثر تلك التطورات على مجمل العمل الإسلامي في مصر ، مشروعيته وأهدافه وتكتيكاته بل واستراتيجيته ؟..

د . محمد مورو

حسين عاشور يسأل

● كمسلمين ماضينا مشرف وحاضرنا مؤلم ومستقبلنا مظلم .. هل هذا صحيح ؟

●● هذا صحيح مع تحفظ واحد ، عن مستقبلنا المظلم ، أنا لا أتصور مستقبلنا مظلما ..

إننى ألتقى أحيانا بشباب فى العشرين ومادونها ، وهم مسلمون بوعى وهم يشيرون الأمل فى أن غدنا يمكن أن يكون ألطف من يومنا بكثير ، إننى أؤمن بالتقدم العام للبشرية ، والمسلمون جزء من البشريه ، وأنا متفائل رغم كل التجاوزات الإجرامية .. إن الإسلام سينتصر فى النهايه ... قال تعالى : ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾

● تداعى عتاولة الغرب على القصعة ترى هل يشبعون ؟

●●لا أظن أنهم يشبعون .. إن أعداء الإسلام مشهورون بأن لهم أكثر من معى ، قال رسول الله ﷺ إن المؤمن يأكل فى معى واحد بينما الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وهذه إشارة إلى نهم الكافرين ودناوتهم .. وأنهم لا يشبعون مهما أكلوا .

● الأمة فى واد والقادة فى واد آخر وبينهما مسافات فلكية ألسنا فى حاجة إلى التقريب؟

●● نحن فى حاجة إلى التقريب .. إن القادة بغير الأمه عجز وشلل ، والأمم بغير القادة فوضى ، ولابد من تفاعل الاثنين بحيث يكون القائد هو الذى يحمل هموم الأمة وأحلامها ومجدها معا .

● إعلامنا وإعلامهم .. الخبر .. الأدب .. الفن ، التحليل .. صناعة الاهتمامات ، هل قمنا بواجبنا أم لازلنا نعرج كالسلحفاة .. ؟

●● لم نقم بواجبنا ومازلنا نعرج كالسلحفاة ونتكلم فلا نراعى قانون الأولويات ، ونعمل ما لا ينبغى عمله ، ونثير نعرات لا يجب أن تُثار ، وحالنا كله صعب فى حقيقة الأمر .

● هناك من يقول إن الذى تراه الأمه على الساحة السياسية ما هى إلا نتائج .. أما المقدمات فقد خُطط لها منذ عقود .. هل هذا صحيح ؟

●● هذا صحيح .. وأبسط مثال على ذلك قصة الدولة الصهيونية .. إنها تخطط وتزرع وتحصد ونحن نتأمل ما يجرى حولنا دون إدراك لخطورة ما يحدث .

● فجوة سحيقة بين الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقراً .. فهل أصبح المال دولة بين الأغنياء منا

والفقراء يتناولون الحصى ؟

أصبح المال دولة بين الاغنياء أما الفقراء فيتناولون الحصى .. علما بأن الحصا سوف ترتفع أسعاره هو الآخر .

● هل تتمنى أن تكون شهيدا أم أن الحياه حلوة عند الحلوين ؟

●● تمنيت أن أكون شهيدا وأنا فى فترة الشباب ، ثم جبنت حين كبرت .. ثم عدت أهفو لفكرة الشهادة .. إن تصورى لنفسى وأنا أتفجر آلاف القطع فى ثوان قليلة مسألة مريحة للغاية ، وهى تعفى المرء من سكرات المرض وسكرات الموت والخوف من لقائه أعرف أن الحياة حلوة ، ولكنها حلوة عند الحلوين ، ولسنا منهم فلا ينطبق السؤال علينا .

● هل أصبح الموت قريباً منك أم أنك قريب منه ؟

●● أنا اقترب من الموت كما يقترب الموت منى ، وأشعر داخلى أننى بلغت من العمر عتيا ، وعلاقتى طيبه بسيدنا عزرائيل ملك الموت وأحيانا أصلى عليه مع الأنبياء والملائكة بكلمات تقول (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى أولى العزم من أنبيائك ، وعلى سيدنا جبريل وميكال وإسرافيل وعزرائيل ومالك ورضوان) .. والموت قضية فلسفية بالغة التركيب والتعقيد ، وهو مصدر خوف للبشر جميعا .. ولكن فيه فكرة تنزع عنه المخاوف المرعبة .. هذه الفكرة أن الحياه نعمة .. والموت استلاب لهذه النعمه ، ولكن الله الكريم

وأحمد بهجت يجيب !!

العظيم الغنى إذا أعطى عباده نعمه ما ، ثم شاء أخذها بعد ذلك ، فإنما يأخذها ليعطى أفضل منها .. هذه شيمة الكرماء من البشر ، فكيف إذا كان الكرم صادرا من رب العالمين .

● هل تشعر داخلك أنك قد وفيت أجلك وبلغت عمرك الافتراضى ؟

●● أحيانا أشعر أننى قد وفيت أجلى وبلغت عمرى الافتراضى وفى هذه الأحيان أتصرف كالموتى ، فلا أرد على التليفون مهما استمر رنينه ، وأقول مبررا لنفسى إننى ميت والموتى لا يردون على التليفون .

وأحيانا أخرى أشعر أننى طفل فى الثامنه من عمره ، طفل تنطبق عليه الحكمة الهندية القديمة (لا أرى شرا) ... لا أسمع شرا .. لا أقول شرا .. لا أفعل شرا) .. ولعلمك إن كنت لا تعلم أن العمر الافتراضى للإنسان هو ١٥٠ سنه ، لولا التلوث الذى يقضى على الإنسان فى نصف عمره الافتراضى !!!..

دائرة الرمل

بينما كان قادة الحزب الوطنى يقومون بحملة دعائية كبيرة لتحسين صورة الحزب تحت مسمى الإصلاح ومحاربة الفساد والديموقراطية وبناء الحزب من القاعدة إلى القمة على أسس منتخبة كانت أجهزة الحكم تدمر هذه العملية كلها فى الإسكندرية بالتدخل السافر بالتزوير وغيره لإنجاح مرشحى الحزب فى دائرة الرمل فى مواجهة مرشحى الإخوان المسلمين وكأنهم بذلك يقولون للناس لا تثقوا فيما يقال حول الإصلاح والديموقراطية لأن ذلك كله مجرد دعاية بهدف الاستهلاك الخارجى وبهدف التمهيد للانتقال إلى العهد الجديد والرئاسة الجديدة للحزب .. وهذا قمة التناقض عندما تقول الصحف وأجهزة الدعاية شيئا ثم يكون الواقع خلال عمل الأجهزة شيئا آخر .. وسبب الوقوع فى هذا التناقض المهلك الذى دمر كل دعاية الحزب الحاكم هو تلك الكراهية المريضة لكل ما ينتمى للإسلام وبالذات للإخوان المسلمين .

إن الحكم بهذا التدخل وكما قال الكثير من المعلقين يثبت ضعفه حتى حيث أراد إثبات قوته ويكشف للخارج قبل الداخل عن القوة

د. محمد يحيى

الحقيقية فى الشارع المصرى وهى التيار الإسلامى وليس الحزب الحاكم أو الأحزاب الورقية المزعومة تحت اسم المعارضة ولا حتى التيار اللادينى صاحب النفوذ والسلطان فى أجهزة الدولة .. إنهم ملئوا الدنيا بالحديث حول بناء الحزب الحاكم بالانتخاب من القاعدة إلى القمة لكنهم فى نفس الوقت يسقطون بأيديهم حرية الانتخاب فى مجلس الشعب مما يشير إلى أن دعوى الديموقراطية هى فى الحقيقة زائفة وأن الحديث عنها بخصوص الحزب الحاكم لا يعنى سوى حركة دعائية لها أهداف مكشوفة ، والغريب أنهم فى الوقت الذى يطالبون فيه الناس بتحسين صورتهم وصورة الإسلام فى الغرب لا يحاولون تحسين صورتهم هم بتلك التحركات المتناقضة .

إنهم يطالبون فى خطبهم بتحسين وتعديل الخطاب الدينى الإسلامى وإظهار الإسلام فى مظهر متسامح ومعتدل ومتحرر وعصرى وديموقراطى ، ولكن هم أنفسهم يسيئون إلى صورتهم فى الغرب والشرق بانتهاك نزاهة العملية الانتخابية وانتهاك حقوق الإنسان ، وهم بذلك العداء المريض للإسلام يدللون على أن الحديث حول تحسين صورة الدين كما قالوا هو كذلك حديث غير نزيه ويهدف إلى التغطية على حقيقة ما يحدث .. وعلى هامش أحداث انتخابات دائرة الرمل برزت حقائق ووقائع مضحكة منها القول بضبط تنظيم سرى إخوانى يعقد اجتماعات على قهوة ويجلس أفراده وسط الزبائن والشيشة وفى وسطهم مبالغ مالية ومشغولات ذهبية مسروقة من تبرعات المواطنين للقضية الفلسطينية لكى يوزعوها على أنفسهم ، ومنها كذلك حكاية استئجار الإخوان للبلطجية وأصحاب السوابق لكى يساعدوهم فى الحملة الانتخابية بينما صحف المعارضة تذكر باستمرار الطرف الذى يستخدم هؤلاء .

وأخيرا فإن صحيفة كل الطائفيين كانت سباقة كعادتها إلى الفضائح والتهافت عندما شاركت فى حملة الحزب الحاكم ضد الإخوان ورددت ما قالته الصحف من مزاعم شاذة حول أن الإخوان هم الذين هجموا على مقار اللجان الانتخابية وحاولوا تزوير العملية الانتخابية إلا أن الشعب أسقطهم ، وهذه المزاعم تتناقض مع ما ذكرته كل الوكالات الأجنبية والمراسلون الصحفيون المحليون والأجانب .

سقوط الشركات

توالت في الفترة الأخيرة أحداث تهاوى بعض الشركات الأمريكية العملاقة ووقوعها تحت طائلة القانون لمخالفات عديدة مالية وقانونية .. وقد كُتِب وقيل الكثير حول تورط الرئيس الأمريكي ونائبه وغيرهما من كبار قادة الإدارة الأمريكية في هذه الفضائح بسبب علاقاتهم بهذه الشركات قبل وصولهم إلى الحكم وتربحهم منها .. كما كُتِب وقيل الكثير حول النظام الرأسمالي في أمريكا وسمعة الشركات العملاقة ولجوئها إلى وسائل ملتوية لتحقيق المكاسب ، ولكن ما لم يقل هو أن حكاية سقوط الشركات العملاقة المتتالي لها علاقة بما يسمى الآن أحداث سبتمبر وصعود تيار اليمين الأمريكي المسيحي الصهيوني العسكري إلى سدة الحكم والسلطة من خلال عملية تآمرية واضحة هي الضرب المزعوم لنيويورك وواشنطن ، ذلك لأن هذا التيار المتآمر الواصل إلى موقع الحكم والسلطة المباشرة قد أخذ في عملية تغيير واسعة في كل نواحي السياسة الداخلية والخارجية عقب وصوله إلى السلطة لتنفيذ ما يراه وفرض وترسيخ سلطته ..

وإذا كانت السياسة الخارجية الكبرى والمشهورة لذلك التيار هي ما أطلق عليه الحرب ضد الإرهاب والذى أطلق يد أمريكا في شئون الدنيا وسط خضوع أو سكوت أو تواطؤ الدول الأخرى وأولها المعنية بالأمر (الإسلامية) فإن السياسات الداخلية الكبرى والمشهورة لذلك التيار أو التحالف بالأصح هي عملية إدخال قوانين القمع وكبت الحريات العامة تحت مسمى محاربة الإرهاب.

وهناك جانب آخر من السياسات الداخلية للتحالف هو جانب إحكام السيطرة على الأوضاع الاقتصادية العامة والتحكم في مفاتيح تلك الأوضاع ألا وهو الشركات والمؤسسات العملاقة .

وهنا بدأ التحالف بضرب الشركات والمؤسسات التي لم تدخل معه في اللعبة التي وصل بها إلى السلطة وربما لم تدفع له أو تخضع بالكامل لتوجهاته وهكذا بدأ مسلسل سقوط بعض الشركات العملاقة ليس حباً في النظافة والنزاهة الاقتصادية وسلامة التعاملات المالية وإنما من باب تخويف وردع

الذين لم يساندوا التحالف من الشركات والمؤسسات العملاقة ولم يقفوا معه بالتمويل ، ومما يدعم هذا التصور الذى قد يبدو غريبا أن عملية السقوط اقتصرت على بعض الشركات العملاقة غير ذات الأهمية الجوهرية أو الوضع المركزى فى آلية الاقتصاد الأمريكى بينما تركت مؤسسات عملاقة أخرى مهمة بزعم أن الشكوك كانت ومازالت تحيط بأوضاعها المالية (مثل شركة ميكروسوفت أو بعض عمالقة الإعلام) ، وعلى ضوء هذا التمييز بدا الأمر غريبا وبدا أقرب إلى نوع من التهديد والردع وترتيب الأوضاع ومعاقبة غير الداخلين التحالف معه إلى البحث عن سلامة العملية الاقتصادية والنزاهة المالية والصحة القانونية ، ومع اقتراب الشركات والمؤسسات الأمريكية العملاقة من دنيا السياسة والأمن والعسكرية فلا يصبح هذا التصور غريبا بل يصبح هو الأقرب إلى المعقولية لاسيما وأن الإدارات والدوائر الأمريكية تعتبر الاقتصاد والسيطرة على مجرياته من الأمور اللازمة لها مثل السيطرة على الأجهزة الأمنية والعسكرية تماما ، والخلاصة أن التحالف اليمينى - المسيحى - الصهيونى - العسكرى يقود سياسة واسعة ومستميتة فى كل المجالات لفرض سيطرته وعلى هذا فضرب الإسلام بشراسة ووحشية وتوسع ينال حتى أبسط العبارات والشعائر هو المتوقع بل أقل مما يتوقع إذا كانوا هم يضربون حتى مؤسساتهم العملاقة ولا يأبهون بسقوطها مع الخسائر الرهيبة المترتبة عليه مادام هذا الأمر يخدم مصلحة التحالف الإجرامى فى الحكم ، ويدل هذا أيضا على مدى الاستعداد للاستماتة فى الدفاع عن حليفتهم إسرائيل ومباركة إجرامها وهو ما انعكس فى خطاب بوش المشهور .

الأرجنتين

فى تقرير أذاعته هيئة الإذاعة البريطانية فى أوائل شهر يوليو الماضى ورد أن نصف سكان الأرجنتين هم الآن تحت مستوى الفقر ، كما أن حالات الجوع بدأت تتفشى إلى حد أصبح معه الكثيرون من السكان ولاسيما الأطفال بحاجة إلى مساعدات غذائية من جانب الجمعيات الأهلية لمجرد ألا يموتوا من الجوع فى بلد يستطيع إطعام أضعاف أضعاف سكانه بفضل موارده الزراعية والطبيعية الوفيرة ، لكن المشكلة فى الأرجنتين هى انهيار الاقتصاد مع تطورات أوضاع الأسواق العالمية وتدخلات صندوق النقد الدولى والبنك الدولى .

والحقيقة أن العوامل الحقيقية التى أدت إلى هذا الانهيار المريع للاقتصاد الأرجنتينى غير خافية عن الأنظار ، فهناك الولايات المتحدة بسياساتها وتدخلاتها وهى تريد أن تبقى أمريكا الجنوبية مجرد تابع خاضع لأمريكا من خلال إضعاف البلدان الكبرى فيها (وعلى رأسها الأرجنتين) وتدمير اقتصادياتها والحيلولة دون نهوضها وتمتعها بوسائل القوة المتعددة التى تمكنها من الوقوف فى وجه أمريكا ، ولا ننسى أن الأرجنتين ضُربت عسكريا على يد الإنجليز المباركة وبدعم أمريكى فى مطلع الثمانينيات ثم ضرب نظامها العسكرى المستقل (رغم ديكتاتوريته) على يد أمريكا وحلفائها من خلال الضغوط الإعلامية والسياسية ثم ضرب الاقتصاد ومعه القوى الاجتماعية والثقافية الرائدة ، وبجانب أمريكا كانت هناك القوى اليهودية والصهيونية التى لا تنسى أن الأرجنتين كانت منذ القرن والنصف وربما أكثر المهجر المفضل للألمان والعناصر الأوروبية المسيحية المناهضة للصهيونية ، كما أن الأرجنتين كانت المهرب للكثير من الألمان (وليس بالضرورة من النازيين) فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ومن هنا فهناك ثأر قاتل من جانب التيارات اليهودية والصهيونية ضد الأرجنتين ، والكثير من القوى منها وهو ما أدى إلى تضامن هؤلاء مع مخططات أمريكا لهدم وزعزعة هذا البلد وضرب قواه الوطنية المستقلة وتخريب اقتصاده ، ويتهم اليهود الصهاينة بعض المهاجرين العرب فى الأرجنتين بالتعاطف مع قضية فلسطين .

والواقع أن حالة الأرجنتين ليست هى الوحيدة فى أمريكا الجنوبية كنموذج للتدخل الغربى الأمريكى بهدف الإخضاع والإضعاف من خلال التخريب ، ففى القريب كانت هناك حالة فنزويلا حيث عملت أمريكا على الإطاحة بنظام الرئيس شافيز من خلال انقلاب

عسكرى خائب وتحريض على التمرد الشعبى لأن سياسات الحكومة الفنزويلية المستقلة ولاسيما فى مجال البترول لا تعجب أمريكا بالطبع ، وقبل فنزويلا فى الماضى الأبعد كانت هناك شيلى وبعدها بيرو وكولومبيا ، ولاتزال البرازيل تتعرض لضغوط سياسية واقتصادية هائلة .

إن أمريكا تعتبر القارة الجنوبية مجرد مرتع لها منذ القرنين من الزمان وهى تحارب لكى تمنع أية أنظمة مستقلة قوية هناك وبالذات فى البلدان الكبرى ، إنهم لا يتورعون عن شئ ضد شعوب تشاركهم فى العقيدة الدينية والأصل الأبيض والإرث الثقافى والحضارى الأوروبى فماذا يا ترى يفعلون فى المسلمين ؟!..

إنهم يتركون هذه الشعوب كما فى الأرجنتين تجوع بالفعل ، فليس غريبا بعد ذلك أن يضربوا أطفال العراق بالأسلحة المحرمة ويجيعوهم وليس غريبا أن يهللوا لقتل أطفال فلسطين ويجيعوهم وليس غريبا أن تستمر طائراتهم فى إبادة الأفغان المسلمين رجالا ونساء وأطفالا فيما يسمونه بوقاحة بالغارات التى تحدث خطئا وما هى بالخطأ .

إن أمريكا المعاصرة هى أس الإجرام والإرهاب والقتل حتى لمن هم قريبون لها بالدين والعقيدة والتراث والتاريخ والعنصر واللغة .

باكستان

مايزال ديكتاتور باكستان الذى وضعه الأمريكان على دفة الحكم لكى يكون مطية لهم لتحقيق أغراضهم فى بلاده وما حولها ماضيا فى خططه لتقويض الديموقراطية فى باكستان برغم أن الأسياد الأمريكان يدعون ليل نهار أنهم حماة الديموقراطية فى العالم ودعاة الحرية ويطالبون بتغيير ياسر عرفات على هذا الأساس .

وكانت آخر ابتكاراته الديموقراطية هى إصدار قرار ينص على ضرورة أن يكون مرشحو الانتخابات النيابية والعامة والمحلية من الحاصلين على شهادات جامعية وذلك فى بلد تمثل فيه هؤلاء نسبة ضئيلة من السكان ولا يمثلون بالضرورة عناصر لها شعبية يمكن أن تُنتخب على أنها تمثل الشعب أو تيارته السياسية والفكرية الغالبة .

ومن الواضح أن هذا القرار هو ضد الديموقراطية التى تُفترض أن يستطيع الشعب اختيار الشخصيات التى تمثله أيا كانت درجتها العلمية ، ثم إنه قرار ضد المرشحين على أساس غريب هو أساس الحصول على مؤهل دراسى جامعى فى بلد لا يستطيع فيه الحصول على ذلك المؤهل إلا الأغنياء أو الذين

لديهم أسر ذات نفوذ .. إلخ وهم أقلية فوق أن تلك العوامل تخضع للصدفة ، والغريب أن أمريكا التى تصدع رءوس العالم بالحديث الدائم عن عدم التفرقة على أساس الدين أو الجنس أو العنصر أو اللون أو الطبقة تقبل من رجلها فى باكستان أن يفعل ذلك ويرسى التمييز على أساس المؤهل الدراسى الذى هو مؤهل نادر فى تلك البلاد (الشهادة الجامعية) .

والهدف من ذلك هو بالطبع (الحيلولة دون دخول العناصر الشعبية والحزبية إلى مواقع السلطات التشريعية ولهذا الهدف حظى قرار ديكتاتور باكستان على قبول أو حتى مباركة الإعلام الغربى فى الوقت الذى يطالب فيه ذلك الإعلام الجميع بأن لا يميزوا بين مواطنيهم على أساس الدين والعرق .. إلخ .

وقد يقال إن حكاية المؤهل الجامعى كشرط للترشيح فى المناصب المنتخبة هو شرط تعجيزى سخيف سوف يظل محصورا فى باكستان بناءً على هوى ديكتاتور تحت العمالة الصارخة لأمريكا ، لكن الأحداث تعلمنا أن أمثال هذه الشطحات الديكتاتورية تجد صدى لها بين جميع الطغاة الذين ينتظمهم عقد النفوذ الأمريكى ، وأن هذا الشرط سرعان ما يجد طريقه إلى البلاد الأخرى المستهدفة من الهجمة الأمريكية (وهى بالأساس البلدان الإسلامية) تحت شعارات براقة (وخادعة) تقول بضرورة أن يكون المعينون أو المنتخبون من الحاصلين على مؤهل جامعى أو من النساء أو من أقليات دينية معينة لضمان العدالة أو مستوى الأداء الجيد أو المساواة .. إلخ .

الطالع

عندما أجرى رئيس الوزراء الهندى تعديلا كبيرا رفض وزيرا الداخلية والخارجية إجراء القسم على الدخول فى المنصب لأن ذلك صادف يوم الثلاثاء الذى يعتبر حسب التقويم الهندوسى والسانسكريتى والتاميلى يوم نحس ، ولأن المنجمين والكهنة نصحوا الوزيرين بعدم إجراء القسم الوزارى فى ذلك اليوم بالذات وإنما فى اليوم التالى ، ولسنا فى حاجة إلى التعليق على ما كان يمكن أن يحدث لو أن هذين الوزيرين كانا من المسلمين فى دولة إسلامية .. كانت بالطبع أبواق الدعاية الإعلامية سوف تنطلق لتسفه ما فعله الرجلان اللذان لم يرد عنهما منصبهما الخطيرين عن سماع كلام المنجمين والكهنة .

وكانت ستصدر عشرات الفتاوى لتعلن أن الإسلام دين العقل لا يقبل الشعوذة والدجل

والتنجيم ... إلخ ، لكن الرجلان هندوسيان ينتميان إلى حزب هندوسى يمينى متشدد فى بلد يرفع شعار العلمانية لم يجدا أحداً لكى يقول لهما إن الهندوسية هى دين العقل (وهى ليست كذلك) أو أن العلمانية التى هى نظام الدولة تحرم الخرافات وتحض على العقل > ولم يجدا من يستهزئ بهما أو يسفههما بل على العكس مر الموضوع بهدوء إن لم يجد من يباركه باعتباره دليلا على تمسك الرجلين بعقيدتهما ودين بلادهما الغالب .

ونحن فى الإسلام لا نطلب خرافات ولا شعوذة ولا تنجيم ، ولكن مجرد الاحترام المعقول لشعائر الدين وعقيدته فلا نجد سوى الاستهزاء المتواصل من العلمانيين المسلطين على أجهزة الإعلام والذين لا تنقصهم الوقاحة لسب المتدينين .

وإسرائيل

وافق الكنيست الإسرائيلى فى وجه معارضة من يسمون بالعلمانيين على مشروع قرار يجعل التوقيت الصيفى ينتهى فى شهر أغسطس بدلا من آخره حتى يتمكن اليهود المتدينين من صيام أحد أعيادهم بصورة مريحة بدون التعرض لطول ساعات النهار المترتب على التوقيت الصيفى ، وإذا كان الشئ بالشئ يُذكر فإنه قبلها بأسابيع قليلة وافقت لجنة الشكاوى والاقتراحات بمجلس الشعب على قانون بإلغاء التوقيت الصيفى بعد اقتناع اللجنة بعدم الحاجة له وعدم حدوث توفيرات مهمة فى استهلاك الكهرباء نتيجة له ، ورغم هذه الموافقة من اللجنة ، ورغم تحمس الصحف الرسمية وعلى رأسها الأهرام لهذه الفكرة ومعهم فى ذلك سائر أعضاء مجلس الشعب إلا أنها توقفت فجأة بقرار علوى غامض لا يُعرف مصدره .

وهذا القرار غير واضح الهدف ولا يبدو من الواضح سبب تدخل جهات عليا فى موضوع فنى مثل هذا ، فمن الجلى أن ينتمى إلى اختصاصات جهات أقل أهمية لاسيما وأنه

حظى بموافقة اللجنة المختصة فى مجلس الشعب ، لكن الذى حدث فى إسرائيل يكشف سبب هذا القرار ويوضح الغموض ، فمن الجلى الآن أن البعض أراد أن يجعل من استمرار التوقيت الصيفى حتى يكون شهر رمضان واقعا فى أواسط الصيف تحديا علمانيا لغالبية الشعب المصرى وفرصة علمانية لتصعيب أداء الفريضة الدينية (الصيام) على الشعب من خلال التوقيت الصيفى المصطنع الذى يناقض التوقيت الطبيعى بإضافة ساعة عليه .

من الطبيعى إذن أن يكون وراء وأد الاقتراح بإلغاء التوقيت الصيفى دوائر علمانية تتحين الفرصة للهجوم على أداء فريضة أساسية من فرائض الإسلام بتصعيبها بعد أن كان العلمانيون فى السنوات الأخيرة يموتون من الغيظ نتيجة تزايد أعداد الصائمين حتى من أصحاب المهن الشاقة وبالذات فى صفوف الرياضيين من لاعبى الكرة ، وبالطبع فإن الفتاوى المزورة سوف تكثر بعد سنوات قليلة عندما يحل رمضان فى فصل الصيف وكلها سوف تقول إن الإسلام دين الصلابة والشدة (وليس دين اليسر!) وأنه لا يضير العالمين أن يصوموا ساعة زيادة فى سبيل الإنتاج القومى وتوفير الكهرباء (وكلها دعاوى زائفةكما أثبت تقرير لجنة مجلس الشعب .. وسوف يتبارى المستنيرون والتقدميون فى تقديس الحكومة التى أصرت على بقاء التوقيت الصيفى باعتباره قضية القضايا وأولوية حاسمة من أولويات الأمة والتنمية بل والأمن القومى .

وسوف يطالب مشايخ النظام ومفكروه العلمانيون بالكف عن نغمة تيسير الفريضة لأن أساس أداء الصيام هو الشدة والجلد ... سوف تتكرر كل هذه الدعاوى ويهاجم من يجرئون على المطالبة بإلغاء التوقيت الصيفى لأداء الفريضة على وجه مريح باعتبارهم رجعيين وظلاميين بل باعتبارهم كفاراً وغير مسلمين لأنهم يجافون روح الدين التى تُبنى على الصرامة والشدة (وليس على اليسر!) .

ولن يشير أحد إلى ما حدث فى إسرائيل من إلغاء للتوقيت الصيفى قبل موعده بأسبوعين لمراعاة صيام يوم واحد فقط .

وإذا كان بعض من وُصفوا بالعلمانيين هناك قد عارضوا هذه الفكرة فإن الأغلبية الساحقة من الشعب والأحزاب السياسية أيدتها ووجدت لها وزراء كباراً يشيدون بها ويدافعون عنها على أنها تجاوب مع رغبة الشعب ، أما فى مصر فقد تجاهلت الصحف وكتابها ما حدث فى إسرائيل .. وعلى الرغم من أن فكرة إلغاء التوقيت الصيفى فى مصر لم تكن تقوم على أساس توقع حلول شهر

رمضان بعد سنوات قليلة فى الصيف إلا أن الدوائر العلمانية العليا توقعت هذا الأمر وتحسبت له ورأت أنها يجب منذ الآن أن تتحدى الإسلام بتحرك يضع المسلمين فى حرج بشأن إحدى فرائضهم الدينية المهمة كما يمثل موقفا يثبت فيه القوى اللادينية قوتها أمام أصدقائها فى الغرب حيث تبين لهم أنها تمسكت بقانون تافه لا معنى له (أى نظام التوقيت الصيفى) ووقفت به فى وجه الإسلام والمسلمين بل واستخدمت الوضع كله كوسيلة للخروج بكم من الفتاوى المصطنعة والمفروضة وتسلم للحكومة باتخاذ ما يرى من الإجراءات حتى ولو كان ذلك يعرقل ويصعب أداء الفرائض المهمة ويقلل بالتالى من أعداد من يلتزمون بها .. طبعا النتيجة الحتمية هى أن أعداد الصائمين سوف تزداد من باب التحدى والرد الشعبى على اللادينيين ولكن سوف يكسب العلمانيون

فرصة الهجوم على المتدينين وعلى العلماء الصادقين وتشويه صورتهم وإفساح المجال أمام دعاة الفتنة فى الإسلام وتشجيع الأصوات المالئة للعلمانيين من بين بعض من يدعون الانتساب إلى العلم الدينى أو الموضوعين فى مناصب يُفترض أنها دينية ، وعلى العموم فنحن ننبه من الآن إلى هذه اللعبة وما سوف يحدث فيها ونعتقد أن الإشارة إلى تقرير لجنة الشكاوى والاقتراحات بمجلس الشعب حول ضرورة إلغاء التوقيت الصيفى لعدم الحاجة إليه تمثل أو سوف تمثل المرجع الحاسم عند طرح الموضوع للمناقشة على النطاق الواسع بعد ثلاث أو أربع سنوات.

ومرة أخرى نسير إلى أن الدوائر التى تدخلت لوأد فكرة إلغاء التوقيت الصيفى رغم تحبيذ مجلس الشعب لها (وهو ما يُفترض أنه السلطة التشريعية فى بلد يقولون عنه أنه ديموقراطى يحترم القانون) هى دوائر لا ترجو الخير لهذا البلد ولا لشعبه وتخطط لإحداث الفتن والبلبلة والشقاق الوطنى وليس هذا بغريب على اللادينيين المهمومين بإلقاء الفتن وبث بذور الشقاق بين الشعب والحكام ، وسوف يدفع أصدقاؤهم ثمن حماقاتهم .

د . محمد يحيى

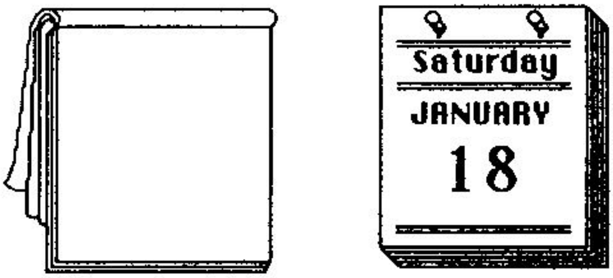

شهريـــــات

أيهما أكثر ضحياً طبول الحرب أم زغاريد السلام ؟..

الذين يقرعون طبول الحرب وهم يعربدون فوق الأشلاء الحية ترتعش أجسادهم كالمجاذيب يطربهم أنين الرءوس المهشمة، والذين ينفخون فى أبواق المعارك ثملون من إهراق قطرات دم يتجرعونها مخدرين مما يفوح منها من رائحة الحياة؛ هم أنفسهم الذين يضربون على دفوف السلام ويطرقون "صاجات الراقصات" فى نشوة السكير الذى لا يروق له شرب الخمر إلا فى كئوس منحوتة من جماجم البشر. الطبول والدفوف شدت من جلود بطون نسوة الضحايا، والعصى التى تدق بها الطبول عظام اجتثت من أطراف أطفالهم النحيلة، والأبواق أعمدة فقرية انتزعت من ظهور شبابهم، والصاجات طرقت من آذان شيوخهم .

د.عبد الفتاح الحسيني

تجارة ليتها تبور

تجار الحرب والسلام يبثون الفتن بين الشعوب الآمنة، ويشيعون الرعب في القلوب المطمئنة ليفتحوا أسواقاً جديدة لما تنتج مصانعهم من مرازب التخريب الشامل، ومعاول الهدم، وسكاكين الذبح؛ ويتوسعون فى تجارة أدوات الإبادة الجماعية؛ ثم يغيرون على الفئات المتحاربة للمصالحة بينهم وجمع أسلحتهم وتحطيمها. ويفتحون سوقاً أخرى لتعمير كل ما خربته الحروب حتى إذا أوشكت تجارة التعمير أن تبور أوقدوا حربا جديدة ليبيعوا المزيد من السلاح والعتاد، يعيدون التعمير ليشيدوا أنقاضاً حديثة فوق أنقاض قديمة، بينما تتضاعف أرباحهم فى كل كرة؛ ويقبض الجلاد والنخاس عمولة على البيع والشراء. وويل لمن يحجم من المسالمين عن الاستجابة لطبول الحرب، وويل للمحارب الذى لا يكف يده عن سفك دم أخيه عندما تضرب دفوف السلام، والويل والثبور لمن لا يوقع على عقود التعمير .

قال تعالى: ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾ .... (المائدة : الآية ٦٤)

صاحب الجبروت لا يشغله السعى الدءوب لاستتباب السلام والاستقرار عن رش السموم القاتلة فى الهواء حتى يبيد البشر والحيوان، أو عن إطلاق الصواريخ وقذف أطنان من القنابل العنقودية الملوثة ليمحو ملامح الأرض ويخرب ما عليها من العمران، ولا عن نسف الزرع والضرع بنيران لا تبقى ولا تذر .

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام؛ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد؛ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾

.... (البقرة : الآية ٢٠٤ - ٢٠٦)

أما المغلوبون على أمرهم فيترنحون فى سكرة الموت يهزون أردافهم على دقات صاجات الغوانى مخدرين بأنغام السلام؛ تدوى حناجرهم بزغاريد الاستقرار وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة فى أمان حيث يهوون فى خضم جحيم يأتيهم لهيبه من بين أيديهم ومن خلفهم، ونيران حامية تنصب على رءوسهم وتفور من تحت أرجلهم. تتحطم البيوت

والحصون على رءوس الأحياء منهم والأموات، وتتفجر الشوارع والطرقات لتدفن تحت أنقاضها من لم تتسع لهم الأنقاض المتداعية. وتتناثر أشلاؤهم في كل مكان لتنبت زهور السلام اليانعة .

قال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون؛ صم بكم عمى فهم لا يرجعون؛ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين؛ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾

.... (البقرة : الآية ١٧-٢٠)

الخسيس يكدح فى الحقل ليبيع الزيت لتشحيم ماكينات الحرب التى تهلك الحرث والنسل؛ والجبان ينفق جاهداً لتمويل صناعة السلاح طمعاً فى أن ينجو بنفسه؛ والمدحور يتعشم فى خزى أن يتولى الزبانية تعمير ما هدموا فينفحونه عمولة؛ والطاغية الرعديد يتطلع إلى أرباب نعمته فى مهانة عسى أن يقيموا على جدثه نصباً تذكارية فيطول عليه الأمد فى الدنيا قبل أن يخلد فى جحيم الذكريات .

قال تعالى :

﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم؛ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ (البقرة: الآية ٢٦٨- ٢٦٩)

الدنيا ما زالت بخير، الظالم والمظلوم سواسية؛ كل منهما لن يرضى بغير السلام الشامل بديلاً سواء كان سلام الشجعان أو سلام الأنعام ؛ فمن لا يشرى من تجارة الحرب والسلام يهلك تحت أنقاض الأمن والاستقرار. فلا استقرار يتحقق دون أن يقصف صاحب المدفع الجموع الحاشدة فيخرس الألسنة ويصم الآذان ويعمى العيون، ولا سلام يعم حتى يلغ الأبكم فى دماء أخيه ويهرأ الأعمى لحم أمه وأبيه، ويفتدى الأصم نفسه بصاحبته وبنيه .

قال تعالى : ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾

.... (التوبة : الآية -٨)

حقيق أن أحوال الناس تغيرت على مدى قرون من الزمان ، ومشارب الخلق واهتماماتهم اختلفت على مدار الأجيال المتعاقبة، إلا أن الأمور مازالت على ما هى عليه. كل ما جد هو أن وزارة الحربية أصبحت تدعى وزارة الدفاع، والجيوش المغيرة أصبحت بعثات مصالحة، وقوات الاحتلال أصبحت قوات حفظ أمن. فالشعوب تتطاحن من أجل السلام،

وتتصالح حتى تعد لمعارك جديدة. القوى يفترس الضعيف، والصغير يستسلم فى انكسار متزلفا للغالب، يحلم باللحظة التى يغفل فيها القوى حتى يكيل له الكيل كيلين. من يولد بملعقة ذهبية فى فمه لا يرضى إلا بأطباق زاخرة بما يقتطعه البائسون والمحرومون من لحومهم حتى يعم الرخاء. والمعدم يصوب عينيه على الملعقة الذهبية عسى أن يختطفها ويطعن بها صاحبها فيعيش الناس كلهم فى وئام.

قال تعالى : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى؛ قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا؛ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ ..... (طه : الآية ١٢٤ - ١٢٦)

إلا أن الحقيقة الراسخة التى لن تتغير أبداً مهما اختلفت الحيل والألاعيب هى أن العمر واحد؛ فلن يموت الشجاع قبل انتهاء ما كتب له من حياة، ولن يعمر الجبان لحظة واحدة عندما يحل موعد رحيله عن الدنيا؛ الشجاع يعى أن حياته فى خطر ولا يحجم عن الإقدام، والجبان يساق إلى المقصلة طوعاً على أمل أن يطول المشوار إلى المقصلة فيكسب بعض أنفاس من حياة قبل أن يحل به هلاك محتوم. قال تعالى : ﴿أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾

.... (النساء : الآية ٧٨)

والحقيقة الأشد رسوخاً أنه لن يكون للطغاة وجود فى غياب حشود مقهورة، فلولا تكاثر المستضعفين فى الأرض لما كان هناك أهل جبروت يدفعونهم إلى الحرب ويملون عليهم السلام .

قال تعالى : ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا؛ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا؛ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾

.... (النساء : الآية ٩٧-٩٩)

صلاة الحرب

اجتمع الأحبة والأصدقاء والأقارب والقرناء فى الساحة الكبيرة لبلد صغير؛ ليودعوا لفيفاً من الشباب اليانع الفارع ممن وقع عليهم الاختيار للدفاع عن بلادهم فى واحدة من الحروب الناشبة فى أراض بعيدة عن وطنهم. كلهم وطنيون تطوعوا فى قوات الدفاع سعياً وراء مهنة تضمن لهم رزقاً طيباً بعد خدمة سنوات معدودة فى العسكرية؛ هذا إن لم يحلُ لهم الحال ويفضلوا الحياة النظامية على الحياة المدنية .

الوداع مرير تسكب فيه الدموع بغزارة، وتتبادل فيه الأحضان بحرارة، وتقذف فيه

القبلات جزافاً دون قيود، وتنبض فيه القلوب رهبة وخوفاً وطمعاً. إلا أن الوداع على حرارته لا يكتمل دون دعاء بسلامة عودة الجنود والنصر على الأعداء.

امتطى المنصة لفيف من رجال الدين واحد تلو الآخر، كل يصلى باللغة التى تليق مع نحلته وكل يدعو من الأرباب من يظن أنه أسرع فى الاستجابة للدعاء من غيره. والحاضرون يؤمنون على الأدعية المتعاقبة دون أن يعيروا التفاتاً لمن يتوجه كل من رجال الدين إليه بالدعاء.

والدعاء فى كل الأحوال بسيط واضح فكل ما يطلب المودعون والمرحلون سواء هو سلامة العودة إلى الوطن حتى ينعم كل من الجنود الشجعان بصحبة رفاقه الذين سيخلف من ورائه من أهل وأصدقاء وكلاب وقطط، وحتى يعود سالماً إلى حياة هادئة بعيداً عن ضوضاء المعارك. هذا بالطبع بعد الانتصار فى مهمتهم الإنسانية من العمل على استتباب السلام والأمن ونشر الرخاء فى بقعة من بقاع الأرض النائية التى يتوجه إليها الجنود فى حماس .. وفى ختام الأدعية المتعاقبة تقدم الجمع شاب فى بزة عسكرية تنبئ الجمع بأنه الراعى الدينى للفرقة الراحلة للحرب؛ وقاد الجمع فى صلاة : "يا أبانا الذى فى السماء !.. نحن أحباؤك !.. ها هو شبابنا الوطنى الفتى، يهرعون قدماً محاربين، ليستتب السلام والرخاء فى العالم بأسره فكن قريبا منهم فأنت مدين لهم بالحماية من الأذى فى الصول والجول؛ لهذا نطالبك بأن تعيدهم إلينا سالمين منتصرين! أما المخلفون منا فيؤازرون شبابنا بأرواحهم، نابذين وراء ظهورهم نشوة الهدوء اللذيذ إلى جانب المدفئات، يتطلعون إلى يوم عودة المغتربين مظفرين !.."

وما كاد الراعى المجند ينتهى من دعائه حتى امتطى المنصة رجل هرم مثقل صدره بالنياشين، زاعقاً فى الحاضرين : "إن الرب لا يستجيب إلى صلاة مبهمة؛ إنما يلبى الدعوات النابعة من القلوب والمعبرة عما يختلج فى النفوس؛ فهيا بنا نطالب الرب بما نريد دون مواربة ومحاورة"؛ واستهل صلاته :

"يا أبانا؛ ساعدنا حتى نمزق بقذائفنا أكتاف الأعداء إرباً دامية ؛

ساعدنا حتى نكسو حقولهم الباسمة المضيئة بأشلائهم الكالحة ؛

ساعدنا حتى تطغى صرخات جرحاهم على رعد بنادقنا بينما تتلوى أجسادهم من الآلام؛

ساعدنا حتى نتلف منازلهم المتواضعة بأعاصير من النار؛

ساعدنا حتى نعصر قلوب أراملهم المسالمات بحزن لا ينقشع ؛

ساعدنا حتى نشردهم ونقتلع السقوف من فوق رءوسهم، حتى يتيه أطفالهم الصغار بلا صديق، فى حطام أراضيهم المقفرة، فى أسمال

باليـة جـوعى وعطشى يعـانون من لهـيب الشمس فى الصيف ومن عواصف الثلوج فى الشتـا ء؛ مكسـورين مـدحـورين من الآلام المبرحة، يتضرعون إليك بأن تهب لهم راحة فى القبور فتنكرها عليهم من أجل خاطرنا نحن المحبون لك يا رب !..

يا رب !.. نسـألك أن تنسف آمـالهم، وتفسد عليهم حياتهم، وتطيل عليهم مرارة هجـرتهم، وتثـقل من خطاهم، وأن تروى طريقـهم بالدمـوع، وأن تلوث بيـاض الثلج بدماء أقدامهم المتهرئة .

نحن نسـألك ذلك بروح المحبـة لك فـأنت مصدر الحب كله، وأنت الملاذ الدائم الإخلاص، والصديق لكل من يعشق ألم الآخرين، ونحن اليوم نسعى لعونك بقلوب متواضعة نادمة على تقاعسنا عن إبادة كل من لا نحب ."

وهنا هلل الحضور فرحين، يرددون صلوات الحرب فى بسالة؛ وامتـلأت صدور الجنود بالنشوة متأهبين للانقضاض على عدوهم قبل ارتقائهم متن الطائرات النفاثة التى ستحملهم إلى أرض المعركة التى لم تطأها أقدامهم من قبل .

وفى جـانب نا ء من الكرة الأرضـية؛ قـوم بسطاء يتـرقـبـون أزيز طائرات تصب على ديارهم وابلاً من النيـران، وينتـظرون أن يتسـاقط عليـهم من السمـا ء جند محـاربين مـدججين بالسـلاح .. ليس لهم من حبيب ينتظر ، فكل أحبائهم فى أحضـانهم، وليس لهم من صديق يذرف عليهم دمعة عندما تفوح رائحة الموت ، فحاملات الطائرات رابضة فى الأفق تحـول الدمعـة إلى غـصـة فى الحلقـوم وتقبض على القلوب حتى تتحجر. لا ملجأ لهم إلا خالقهم وهو نعم المغيث، فيجأرون إلى الله بالتضـرع أسوة برسول الله ﷺ : "اللهم فـارج الهم، وكـاشف الكرب، ومـجـيب المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمها، ارحمنى اليوم رحمة تغننى بها عن رحمة من سواك".

د . عبد الفتاح الحسينى

الولايات المتحدة الأمريكية

شارون الأول
شارون الخامس والخمسون

عجزت عن الكتابة..

عجزت .. عجزت.. عجزت..

فكرت فى أن أعتذر إليكم يا قراء ..

لكننى أرى أن الأمة كلها محتاجة إلى كل اعتذاراتها كى تقدمها إلى فلسطينى واحد..

ولو كنت مكانه لما قبلت الاعتذار..

راجعت مئات المقالات والأبحاث وكتبا عديدة كى أكتب عن المؤامرة التاريخية ضد العالم الإسلامى.. ورغم أننى أكتب فى هذا الموضوع منذ عشرين عاما إلا أنه قد هالنى ما قرأت..

هالنى.. و أفزعنى..

فظيع أن يروعك أمر مفاجئ..

لكن الأفظع والأمر .. أن يفاجئك أمر غير مفاجئ .. أمر يحاك منذ عشرات وربما مئات الأعوام ..

د. محمد عباس

وأخذت أعد عدتي لكتابة المقال .. لكن الأحداث المروعة في فلسطين كانت تحتل كل خلية في كياني ..

ورغم أنني أبغض أن أتناول الأمر من منظور غير جهادي .. لكن كيف أقنع قلبي ألا ينشطر وهو يرى يد ذلك الطفل المدفونة تحت الركام ..

لم أر إلا يده .. وكان الجسد كله مطمورا .

وكان المسيخ الدجال في واشنطن رأس الشر وخليفة الشيطان بوش- يراه إرهابيا لا يجوز إنقاذه ..

رأيت أيضا تلك المرأة التي تحثو على رأسها التراب الذي وددت لو أحثوه في وجه الخونة من أمتنا !!..

رأيت الجثث والأشلاء صفوفا خلف صفوف.

خلف جثمان كل شهيد تحت الأنقاض في فلسطين رأيت وجهه ..

لا ..

ليس وجه الكلب المسعور شارون ..

بل وجه الفاسق ..

ووجه الضليل ..

ووجه السكير ..

استرجعت صوت الصديق الغاضب يصرخ :

- لم نمر بهذه المهانة منذ غزو بغداد .. منذ التتار .. هذه أخطر فترة تمر بها الأمة منذ ألف عام ..

ثم واصلت استرجاع صوت الصديق :

- لماذا تجرى البلاد العربية مناورات مع الجيش الأمريكي ..

وهمست لنفسي :

هذه الأواكس التي تحلق في سماء العروبة ليل نهار لم ترصد أبدا يد الطفل ذي الجثة المطمورة ..

وهذه البلايين والبلايين والبلايين عجزت أن تقدم كسرة خبز لتلك العجوز التي قالت أن فاها لم يلك طعاما منذ عشرة أيام ..

●●●

خلف كل جثمان كل شهيد رأيت وجه الجميع الفاسق الضليل السكير اللص الغبي الخائن .

وخلف كل شلو من أشلاء أحبابنا رأيت وجه عميل .. لا .. ليس إسرائيليا .. بل .. عربيا .. ويزعم أنه مسلم !!..

ما فشل فيه جنود الأعداء من الصليبيين والتتار طيلة ألف عام نجحت فيه أيدي العملاء ..

دمرت روح الأمة ..

أيها المجرم السفاح قاتل رجل مسلم لأنه يقول : ربي الله أيها العميل .. هل تظن أنك أقل سوءا من أي ضابط إسرائيلي .. لا والله .. بل هو أفضل منك .. لأنه يسعى ولو بالجريمة لنصر بلاده وهي منتصرة .. وأنت يا سفاح يا عبد الشيطان تسعى

بالجريمة لهزيمة أمتك .. وهى مهزومة .. أما وليك وآمرك والمتستر عليك فليس سوى عبد للشيطان مثلك ولن يغنى عنك من الله شيئا..

●●●

خلف كل شلو رأيت قاضيا من قضاة النار .. أطلق سراح الخونة ودفع بالأبطال فى غياهب السجون ..

وخلف كل شلو رأيت رئيس نيابة تحول من أمين على حرية الأمة إلى قواد تغتصب العدالة على يديه فلا تهتز له شعرة ..

وخلف كل صرخة عذاب وألم واستنجاد رأيت وجه قواد يرفع رايات الشرف وهو يمارس الدعارة بالكلمات ..

●●●

وخلف كل كل ذلك رأيتك أنت أيضا يا أمة ..

أنت العاجزة الفاشلة وليس نخبتنا الفاجرة ليسوا فاشلين ولا عجزة .. على العكس .. إنهم ناجحون تماما .. ولو لم ينجحوا ما استمروا قابضين على الفكر والإعلام .. إنهم يقومون بالعمل الذى جئ بهم من أجله : حماية إسرائيل .. ولقد نجحوا فى قرن حيث فشل الغرب طيلة قرون : دمروا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله لتجد نفسها فى هذا الخزى العاجز والعجز المهين ....

ليس العجز فى مواجهة العدو الخارجى.. فكيف تواجهه وقد تحالفت كل نخبنا معه علينا..

وإنما العجز فى تغيير هذه الفئة والقضاء على حواشيهم ..

●●●

ذات يوم .. أثناء المذبحة فى فلسطين .. وهى على أى حال ما تزال مستمرة .. وفى صلاة الجمعة هالنى عدد الجنود فى الشوارع .. لم أر هذا العدد فى حياتى قبل ذلك .. وكانت معظم الشوارع مغلقة .. وكان الجنود يشهرون سلاحهم ..

وخفق قلبى ..

تساءلت : هل تحرك الجيش أخيرا ؟..

وظل هذا الخاطر يلح علىّ حتى عدت إلى منزلى بعد الصلاة فهرعت إلى الفضائيات والإنترنت ..

واكتشفت أن كل هذا الاستعداد كان لقمع المظاهرات ..

وفقدت القدرة تماما على الكتابة فيما كنت قد انتويت الكتابة فيه ..

وجلست ساعات وساعات أراجع نفسى فى ذهول : لطالما عقدت المقارنات بين قوة العالم العربى وإسرائيل .. أحصيت طائراتنا وطائراتهم .. وجنودنا وجنودهم .. ودباباتنا ودباباتهم .. وصواريخنا وصواريخم .. وبوارجنا وبوارجهم ..

الآن أصرخ ..

ليس لنا طائرات ولا جنود ولا دبابات ولا صواريخ ولا بوارج ..

أدركت ما كنت أدركه لكنه روعنى ..
ليس مطلوبا منا أن نهرع لنجدة إخوتنا فى فلسطين !!..
ولا أن نعبر الحدود إليهم..
فمعركتنا هنا مع أنفسنا ..
تماما كمعركة كل شعب مسلم ..
لكم آلمنى المشهد ..
رغم أننى أعرف منذ زمان طويل أن شارون ليس فى إسرائيل فقط .. بل فى كل بلد عربى .. وربما إسلامى .. بل إن هذا الكلب الشرس فى تل أبيب .. لأنه يعمل من أجل بلده ..

●●●

لكم ذبحنى صوت ذلك الفلسطينى وهو يصرخ على شاشة فضائية : لماذا يضرب بعض الحكام العرب المتظاهرين بالرصاص .. ليت شارون يفك عنا الحصار ساعتين كى نتظاهر احتجاجا على ضرب المتظاهرين بالرصاص !!..

●●●

قبل الوعد بسلخ فلسطين من الجسد الإسلامى كان التمهيد طويلا طويلا..
وقبل خيانة بعض الحكام كانت خيانة العلماء والمثقفين الذين ساعدوا الغرب علينا فروجوا لأفكار شاذة كان كل همها هدم الإسلام وتحقير المسلمين ..
كان كل ذلك تمهيدا لما حدث بالفعل بعد ذلك من تشرذم العالم الإسلامى وضياع فلسطين ..
كان هدم الخلافة الذى هللوا له كثيرا ..
وكانت سايكس بيكو الأولى ..
لكن تزييف الوعى استمر بعد ذلك ليمهد لسايكس بيكو الثانية التى عبر عنها محمد حسنين هيكل فى أحد كتبه وهو يتصور أن أحد السيناريوهات القادمة التى يخطط الغرب لها هو "التصور الصومالى" حيث تتحول كل الدول العربية كلها إلى نموذج الصومال .. دول تقسم .. وشعوب تشظى .. وحكومات لا تحكم إلا جزءا من العاصمة .. وقبائل متناحرة .. وحضيض لا حضيض بعده ..
لم يستطع الغرب أبدا أن يغزونا فكريا ولا أن يهزم أرواحنا حتى حين هزم جيوشنا..
لكن .. تكفل بالمهمة أبناء جلدتنا ..
فى القرن التاسع عشر كان عملاء الاستعمار يقومون بالمهمة لكن رائحة عفن الخيانة صرفت الناس عنهم فلم يتبعهم إلا قليل ولم ينجح منهم فى إخفاء عمالته إلا قليل ..
فى القرن العشرين حمل الشيوعيون لواء تزييف وعى الأمة .. حملوه باقتدار لا يضاهيهم فيه إلا الشيطان ..
كانوا هم الوجه الآخر لليهود .. وكانوا وما يزالون امتدادا عضويا لهم ..
وتلقف القوميون الطعم منهم بغباء مطلق.. وما زالوا ..

●●●

تكفلت سايكس بيكو الأولى بتمهيد التربة لزرع إسرائيل ..
وكل خط وضع فى الخرائط كان من أجلها.
وكل صاحب نفوذ جاء منذ ذلك الوقت لم يكن إلا خفيرا لحراستها .. بإرادته واختياره

نحو وعى سياسى

فى معظم الأحوال .. وعلى الرغم منه فى أقلها..

●●●

تم تقسيم الدولة الإسلامية لتكون التربة المثالية لإسرائيل ..

وتم وضع بعض الحكام المثاليين لحراسة إسرائيل ..

وطوال الوقت .. تم حصار الفئة الوحيدة التى كانت تستطيع المواجهة بل النصر : الإسلام والمسلمين .

فكيف نتصور أننا يمكن أن نواجه ونحن فى هذا الحال ؟!..

●●●

أما عن التساؤل عن حالنا لو استمر الأمر كذلك فليس سوى ذل الدنيا وخزى الآخرة .

●●●

سألت نفسى .. لو أن الجيش المصرى فى عام ٦٧ رغم الكارثة حارب كما حارب أهل جنين .. هل كان يمكن أن تكون إسرائيل الآن موجودة ..؟

●●●

الحل واضح مهما كانت صعوبته ..

على الأمة أن تنهض ..

عليها أن تكنس عملاءها .. وأن تمحو الخرائط بين بلادها ..

وأن تلفظ كل تلك الأفكار الشاذة النجسة التى دمرت الأمة من يسار وقومية وعلمانية و.. و.. و..

●●●

لقد قام أبناؤنا الطلاب بجزء من واجبهم .. أشعلوا الشرارة .. وكان على الأمة أن تتحرك.. فلماذا لم تتحرك ؟..

●●●

لماذا نطيل الكلام ..

القضية واضحة :

﴿هذه أمتكم أمة واحدة﴾ ..

﴿قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ ..

انتهت القضية !!..

رسالة

أيها السادة :

أجريت انتخابات مجلس الشعب فى دائرة الرمل ، ولكنه كان رملا متحركا يبتلع كل شريف ، فاعتقل مائتان فقط وسُرقت بعض الحلى من البيوت ، وضُرب الناس فى الشوارع فقط ، وزُورت الانتخابات فى حماية قضائنا المنتعل ، كل هذا من أجل مقعدين فقط !!..

[إسلام على]

بعد كل هذا وفى ظل هذه الحرية

لماذا يتطرف المتطرفون ؟!!..

د . محمد عباس

حوار الشهر :

زعيم حماس :

المقاومة لا الإصلاح مطلب الفلسطينيين الآن

كشفنا وضع الرجوب وقادرون على تصفية أي شخصية لكننا ضد الحرب الأهلية

الشيخ أحمد ياسين

قال الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وزعيمها الروحي، إن الحركة لن تشارك فى أى اقتراع لانتخاب مجلس تشريعي جديد لأنه من إفرازات اتفاق أوسلو. ووصف المجلس التشريعي الحالى بأنه صفر حافظ على منزلته ولا قرار له، مرحباً بالمشاركة فى انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني، شرط أن تشمل فلسطينيي الداخل والشتات. وفى حديث إلى الحياة أجرى فى منزله فى مدينة غزة، اعتبر الشيخ ياسين عملية الإصلاح والتغيير التى يجرى الحديث عنها ملهاة للشعب الفلسطيني، وقفزاً على دماء الشهداء، مشيراً إلى أن أميركا ستضع رجالها الذين يخدمون مصالحها ومصالح إسرائيل فى السلطة ، والإصلاحات الآن غير مطلوبة لشعبنا، المطلوب المقاومة. وأكد استعداد الحركة للمشاركة فى حكومة مقاومة وتحرير، فى حال توحد الشعب فيها للدفاع عن نفسه، وكى تعمل لتحرير الأرض. وقال إنه سيقبل بزوال إسرائيل من أى جزء من أرض فلسطين، شرط ألا يكون ذلك على حساب بقية الأرض والوطن، مشدداً على ان الحركة ناقشت قضية العمليات الاستشهادية، وقررت استمرارها فى كل مكان، بما فى ذلك داخل الخط الأخضر. لكنه أعلن أن الحركة ستدرس بجدية أى طلب سعودى لوقف العمليات الفدائية فى حال ما إذا قدم إلى حماس ، واصفاً الحديث عن طلب سعودى من هذا النوع بأنه غير واقعي. وشدد على أن الحركة ضد أى حرب أهلية، على رغم أن بإمكانها تصفية أى شخصية لو أرادت ذلك ، رافضاً وصف الرئيس ياسر عرفات العمليات الاستشهادية بأنها إرهابية. وحمل بعنف على العقيد جبريل الرجوب، مدير الأمن الوقائى فى الضفة الغربية، مشيراً إلى جرائمه حين يسلم أولادنا ، ومؤكداً أن حماس كشفت وضعه. وزاد الشيخ أحمد ياسين أن حاخاماً بعث اليه برسالة فرفض تسلمها، وفتح أى حوار مع الدولة العبرية. وهذا نص الحديث :

● كيف تصفون المشهد الفلسطيني بعد الأحداث الأخيرة ؟..

- القيادة الفلسطينية تتخبط، لا تعرف الى أين المسير، هى تريد ان تصلح، وإسرائيل تريد أن تصلح، ولكن ما هو إصلاح إسرائيل وما هو إصلاح القيادة. الإصلاح بقياسات إسرائيلية يصبح فساداً.

● هل الإصلاح ، فى رأيكم ، جاء تلبية لحاجة فلسطينية أم استجابة لضغوط أميركية وإسرائيلية ؟..

- العدو الإسرائيلى اكتشف أنه ما زالت فى السلطة عناصر لديها روح وطنية، تعاونت بمقدار ما مع المقاومة، لذا يريد ان يتخلص منها. إسرائيل تخلصت من أناس بقتلهم، وتريد أن تصفى هذا الصف من الناس الذين يملكون روحاً وطنية، لتُبرز روحاً جديدة لدى أناس يريدون أن ينفذوا الالتزام بحفظ أمن إسرائيل، وأن يكونوا كجيش لحد فى جنوب لبنان للدفاع عنها. أميركا تريد أن تضع (فى السلطة الفلسطينية) رجالها الذين يخدمون مصالح إسرائيل ومصالحها، وما ينسف هذه المعادلة هو إرادة الشعب الفلسطينى. ولكن أين تنجح أميركا ؟.. تنجح فى أجهزة الأمن لأنها ليست بالانتخاب بل بالتعيين، وستقول لأبى عمار ضع هذا هنا وهذا هناك، وإذا استسلم أول مرة سيستسلم فى الثانية والثالثة. إذن التغيير قفزة على دماء الشعب الفلسطينى وإلهاء للشارع وزجه فى صراعات داخلية، بدلاً من المقاومة والمواجهة مع العدو الإسرائيلى. ولطالما طالبنا بالإصلاحات طيلة السنوات الماضية لمحاربة الفساد، لكن هذا لم يجد أذناً صاغية ولم يُنتبه إليه فى فترات الهدوء، والذى يزعجنا أن تأتى هذه الدعوات كمطالب إسرائيلية وأميركية، المقصود منها عملية إلهاء فقط، أى اجتياز مرحلة . فالمجلس التشريعى لم يفعل أي شيء، فهل سيكون المجلس الجديد فى حال إجراء انتخابات أحسن حالاً؟ لا لن يكون، ونحن رفضنا الدخول فى المجلس الحالى. هذا المجلس الذى انتهت صلاحياته، ماذا فعل خلال سنوات ؟ كان صفراً حافظ على منزلته، وأنا لست مستعداً أن أدخل فى مجلس لا قيمة له، ولا قرار ولا علم .. لا وجود له . هذه مؤسسات سائبة سواء القضائية أو التنفيذية أو التشريعية، هذه محصلة أوسلو الذى نرفضه لأنه اتفاق ظالم لا يحقق أهدافنا، وها هى الأيام أثبتت ذلك .

● ماذا يعنى لكم قول محمد رشيد المستشار الاقتصادى للرئيس عرفات انه اتفق مع الإدارة الأميركية على جدول زمنى للاصلاحات ؟..

- أنا أتحدث فى الموقف ذاته، فأن تكون الإصلاحات على مقاس أميركى ليست مصلحة فلسطينية، فأميركا وقفت طيلة الوقت إلى جانب العدو الإسرائيلى وضد الشعب الفلسطينى والمصالح الفلسطينية. إذن لا

يمكن أن تقدم (اميركا) شيئاً والدليل أن الأمين العام للأمم المتحدة أرسل لجنة لتقصى الحقائق إلى مخيم جنين، رفضت إسرائيل استقبالها فماتت. مجرد التحقيق فى جرائم العدو ممنوع . الإصلاحات الآن غير مطلوبة لشعبنا، المطلوب الآن المقاومة والدفاع عن أنفسنا وكسر شوكة العدو. وهذا المطلب الإسرائيلى (الإصلاح وتوحيد الاجهزة الأمنية) يريد إعادة انتشار الاجهزة الأمنية الفلسطينية وليس اعادة انتشار الجيش الإسرائيلى، والمقصود ليس اصلاحاً.

● ماذا لو دعاكم الرئيس عرفات إلى المشاركة فى حكومة جديدة ؟..

- على أى قاعدة ؟..

● ما القاعدة التى تريدها حركة حماس ؟

- إذا كان على قاعدة المفاوضات واتفاق أوسلو واستجداءاته، فنحن لسنا مستعدين لذلك.

● لكن، ما القاعدة التى تريدون ؟..

- نحن مستعدون أن نشارك إذا توحد شعبنا فى حكومة وطنية، حكومة تدافع عن نفسها وتعمل لتحرير أرضها، أى حكومة مقاومة وتحرير.

● لو نظمت انتخابات للمجلس التشريعى أو المجلس الوطنى هل تشاركون ؟..

- المجلس التشريعى جزء من أوسلو وسلسلة أوسلو. لذلك رفضنا سابقاً المشاركة فيه، ولن نشارك فى المجلس الوطنى إلا على أساس تمثيل شعب فلسطين فى الداخل والخارج. هنا يوجد ٤ ملايين فلسطينى وفى الخارج عدد مماثل.

● لو قالوا لكم إن من الصعب إجراء انتخابات للمجلس الوطنى، وادخلوا هيئات منظمة التحرير بما فيها هذا المجلس، هل تدخلون ؟..

- ندخل بالانتخاب، رفضنا ان ندخل بـ الكوتا ، فهى نظام سيئ، وسيقولون لنا نحن فصيل كبير نستحق مئة عضو، وأنتم فصيل صغير يستحق عضوين، فيصبحون الغالبية ويقررون ما يشاءون وأنت تصبح صفراً حافظ على منزلته . لا أريد ذلك، أريد أن يقرر الشعب، فإذا قرر وأعطانى ١٠ أعضاء حياه الله، وإذا أعطانى مئة حياه الله. أريد ان يقرر صندوق الاقتراع .

● وهل ستشاركون فى انتخابات الهيئات المحلية (البلدية) ؟..

- نعم، نحن مستعدون، لكن هم (السلطة) عينوا (مجالس للبلديات)، والآن تحت حراب الاحتلال سننظم انتخابات؟!..

● فى حال أجريت قبل نهاية السنة، هل ستشاركون ؟..

- سندرس الظرف ونزاهتها ونقرر. طالبنا بتنظيمها، لكننا لا نريد ان تكون ملهاة للشعب عن المقاومة، والقفز على دمائنا والمجازر التى يرتكبها العدو الصهيونى.

● كيف ترون الخروج من المأزق والصراع

المحتدم منذ اكثر من ٥٠ سنة ؟.. هل يكفى لوقف المقاومة انسحاب إسرائيل من الضفة والقطاع والقدس واقامة الدولة الفلسطينية ؟.

- لو وقعت الشمس على الأرض ستحرقها لو لم يطلع القمر فى الليل ستبقى الظلمة .. لو هذه تفتح باب الشيطان .. لنا وطن ومقدسات، ونحن أمام احتلال، وعندما يزول عن أى جزء من أرضى وشعبى، سأكون سعيداً سأقبل، شرط ألا يكون هذا الزوال على حساب بقية أرضى ووطنى. لست أنا الذى يتنازل عن أرضه القديمة، عن فلسطين المحتلة . يمكن فى هذه الحال أن أدرس وقف المقاومة سنة أو سنتين، شهراً أو شهرين بحسب الظروف، وبموجب الواقع سنقرر. أما ان يأتى شارون ويقول خذوا ٤٠٪ من الضفة واصنعوا لكم دولة وتبقى مستوطنات، هذا كلام فارغ المعطيات التى ستكون هى التى تحدد دورى .

● **قدمت حماس فى السابق مبادرات سياسية (هدنة)، فهل يمكن أن تقدم الآن أى مبادرة تضمن حلولاً للوضع ؟..**

- لسنا نحن من يقدم للعدو مبادرات ، هو الذى يملك كل شىء، ويجب أن يقدم مبادرات، وأنا أقول له إن كنت موافقاً أم لا.

ثانياً، لست أنا الذى يقدم مبادرات فى

نموذج من الاعتداءات الوحشية التى يتعرض لها الشعب الفلسطيني

اللحظة التى لا يتوقف فيها العدو عن ضرب الشعب الفلسطيني . ففي هذه اللحظة لو أردت ذلك سأتراجع، لأنني لو قدمت مبادرات كأنني هزمت أمامه، وهذا لا يمكن ان يحصل أبداً .

●لو جاءتكم ضمانات من جهات تثقون بها، وقالت لكم إن الإسرائيليين لن يقتلوا مدنيين ولديهم نية الدخول فى مفاوضات سياسية ولن يقوموا بنشاطات عسكرية، هل ستعيد حماس النظر فى أعمال المقاومة ؟..

- عندما يُطرح الأمر علينا من أى جانب سندرسه فى وقته، ليست هناك مشكلة، ها نحن نسمع وندرس ونحاور، وعندما نصل إلى وضع نجد فيه مصلحة للشعب الفلسطيني لم لا ؟..

● لو طلبت منكم السعودية وقف العمليات الفدائية فى مقابل ضمانات بوقف إسرائيل نشاطاتها العسكرية، هل توافقون ؟..

- لا أحب ان أجيب على افتراضات .. هذا كلام غير واقعي .. أنا أقول إنه عندما تطرح السعودية أى حوار أو حديث سندرسه بجدية .

● قيل انها طرحته على رئيس المكتب السياسى فى حركة حماس خالد مشعل .

- لم تطرح شيئاً. لا شيء من هذا القبيل .

● هل ناقشتم وقف العمليات الاستشهادية فى أطر الحركة، وهل هناك اختلافات فى وجهات النظر داخلها حول هذه القضية ؟..

- لا يوجد أى موضوع لا يناقش داخل الحركة، كل المستجدات تُناقش، وفى النهاية نخرج بقرارات مشتركة . الكل له رأيه وكل الآراء تتفاعل بما يخدم الوضع الفلسطيني ..

●هل خرجتم برأى أو قرار حول هذه المسألة؟

- طبعاً، استمرار المقاومة بكل أشكالها، بما فيها العمليات الاستشهادية ..

● ما موقف الحركة من مبادرة السلام العربية ؟.. هل ترى فيها حلاً مقبولاً للصراع العربى - الإسرائيلى ؟..

- أى حل يتنازل عن أرضى فى فلسطين لا يمكن أن أقبله .. لا يوجد حل يأخذ منى حيفا ويافا والجورة (قرية الشيخ ياسين المدمرة عام ١٩٤٨) وعسقلان، أنا ابن عسقلان (تضم قرية الجورة) بيتى وأرضى هناك .. الآن استطيع أن أمشى معك إليها، لا أحد يستطيع أن يفرض عليّ أن أتنازل عن أرضى .. مصر رفضت التنازل عن كيلومتر واحد فى طابا فى صحراء سيناء، هل أتنازل أنا عن ٨٠٪ من أرضى ..

● كيف ترون دعوات بعض العلماء أو رجال الفتوى وقولهم إن هذه العملية استشهادية وتلك انتحارية، مسموح بتنفيذها هنا وليس مسموحاً هناك، وأن العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين ليست استشهادية ؟..

- هل فى إسرائيل مدنيون ؟.. كلها عسكريون، نساء ورجالاً، ومن لا يخرجون الى الميدان هم فقط المتدينون، أما الباقون فكلهم جنود .. هؤلاء يلبسون لباساً مدنياً (داخل

إسرائيل) واللباس العسكرى عندنا، ويأخذون إجازات ويستقلون سياراتهم ويذهبون إلى المطعم أو الكازينو، فعند إسرائيل القدرة على تجنيد مليون ونصف مليون جندى أو مليونين .. جنود الاحتياط العشرون ألفاً أو ثلاثون ألفاً من أين أتوا، أليسوا من الشعب الإسرائيلى، ألم يكونوا مدنيين ؟.. ثم لماذا يتم تحميلنا مسئولية قتل مدنيين، أليسوا هم من بدأ فى قتل المدنيين قبل العمليات الاستشهادية التى بدأت بعد مجزرة المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمى، ونحن نقول لشارون : ابتعد عن مدنيينا. وإذا كان هناك شخص يقول إن العمليات انتحارية، فهناك مئة يقولون إنها استشهادية ..

● هل تتوقعون أن يتكرر اتفاق مثل اتفاق كنيسة المهد وأن يتم إبعاد اشخاص آخرين ؟..

- السلطة قدمت بادرة يمكن أن تتكرر، ومن يركع اليوم يركع غداً، ومن يسلم اليوم يسلم غداً وسيتنازل عن حقه الذى كفلته القوانين الدولية والشرائع السماوية، والتنازل عن هذا الحق يعنى التنازل عن الاستراتيجيات.

● كيف ترون اتفاق المقاطعة ونقل الأمين العام لـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات ورفاقه الأربعة وفؤاد الشوبكى إلى سجن فى مدينة أريحا تحت حراسة أميركية - بريطانية ؟..

- أعتبر ذلك جريمة متكررة .. أولاً هذا إقرار بأن المقاومة مرفوضة فاعتقلوا .. هم (الإسرائيليون) قتلوا الأمين العام للجبهة (أبو على مصطفى) ونحن قتلنا منهم وزيراً فى مقابله... علم مقابل علم، وعندما حاكمت (السلطة الأربعة) فهذا إقرار بأنهم مجرمون تجب محاكمتهم، وعندما وضعتهم تحت رقابة أميركية وبريطانية وضعتهم فى خانة الإرهاب أى أن السلطة ارتكبت أخطاء متتالية وعليها تغيير سياستها .. لا يمكن أن تقف فى وجه المقاومة .. حتى لو أخذوا (الإسرائيليون) رأس أحمد ياسين أو ياسر عرفات لن يسكتوا، حتى يأخذوا رأس الشعب الفلسطينى وفلسطين، وأنا سأبقى أدافع عن نفسى رضى العالم أو لم يرضَ، قال عنى إرهابى أو لم يقل .. وإذا أردت أن أصف الشباب الذين يريدون أن يستشهدوا فهناك الآلاف، وإذا أردت أن أصف البنات اللواتى يردن أن يستشهدن فهناك الآلاف أيضاً..

● كيف ترون وصف عرفات العمليات داخل إسرائيل بأنها إرهابية ؟..

- هذا مرفوض، ومؤلم جداً. إذا كان أخي الذي يجب أن يقف إلى جانبي للدفاع عني يهاجمني عندما أدافع عن نفسي، وإذا كان هو غير قادر على الدفاع عن نفسه فلا داعي أن يهاجمني ..

● ما طبيعة الخلافات بينكم وبين العقيد جبريل الرجوب مدير الأمن الوقائي في الضفة؟

- لا خلافات بيننا وبين الرجوب أو أي كان في الوطن .. الرجوب ارتكب خطأ ونحن هاجمناه وكشفنا وضعه، ونحن قادرون أن نصفّي أي شخصية في البلد، لكننا لا ندخل في عنف داخلي، لأننا ضد الحرب الأهلية، وسلاحنا موجه ضد العدو، لكن إذا صفّوا حساباتهم في السلطة فهم أحرار.

هناك خط أحمر، مرفوض أن يوجه السلاح إلى صدر أي فلسطيني، يجب أن يوجه إلى إسرائيل فقط .. لكن هذا لا يعني التستر على جرائم الرجوب حين يسلم أولادنا... وعلى جرائم فلان عندما يقتل أولادنا وينزع السلاح منهم، ويحاكمهم ويضعهم تحت رقابة أميركية - بريطانية، ويبعد شبابنا من بيت لحم، من كنيسة المهد .

● الرئيس جورج بوش قال إن هناك محوراً للشر في العالم، أين تضعون أنتم أميركا؟.. في أي محور؟..

- في محورها، محور الشر، هي الشر بعينه .. هل هناك دولة في العالم قتلت كما قتلت أميركا ؟.. من الذي قتل الملايين في الحرب العالمية الثانية ؟.. من الذي قتل النساء والشيوخ والأطفال في أفغانستان ؟.. من الذي ضرب العراق وقتل أطفاله وحاصره ؟.. من الذي يقتل المدنيين والأطفال الفلسطينيين الآن ؟.. أليس السلاح الأميركي والدعم الأميركي لإسرائيل ؟.. من الذي هدد كل دول العالم اذا لم تقف الى جانب إسرائيل ؟..

أميركا هي محور الشر، ومن يقف إلى جانبها يقف إلى جانب الشر، وعليها أن تعيد حساباتها لأنها غير عادلة، فهي تضع الشعب الذي يدافع عن نفسه في خانة الإرهاب، وتضع الذي يقتل في خانة السلام .

● قيل إن إسرائيل سعت إلى التفاوض مع حركة حماس في أوقات سابقة، هل سعت إبان الانتفاضة الحالية إلى التفاوض معكم ولو من خلال طرف ثالث أو رابع ؟

- نحن واضحون جداً... ليست لدينا أي خطوط مع العدو الإسرائيلي... لا يوجد أي خط. جاءتني رسالة بعد أن خرجت من السجن (الاسرائيلي عام ٩٨) من الحاخام فرومان، وكنت حينها في الملعب الرياضي قرب المجمع الإسلامي المجاور لمنزلي، ورفضت استلامها، وقلت له أن يرسلها إلى السلطة الفلسطينية .

ليست لنا أي علاقات مع العدو الإسرائيلي، ولسنا مستعدين لفتح حوارات معه لأن الحوارات المفتوحة معه لم تجلب شيئاً.

أجرى الحوار: فتحي صباح

مغامرات غيور

د. أيمن منصور

السيد بوش والأجر على الله

من باب إقرار الواقع .. وليس التباهي والفشخرة .. فنحن ولا فخر - أول من (خرم الربع جنيه) وأول من (دهن الهواء دوكو) .. كما أننا أول من اخترع أصول الدبلوماسية .. فقد كان جحا .. أول أستاذ في الدبلوماسية .. وهو الذى وضع أساس سياسة المماطلة والتماحيك ..

وحكاية مسمار جحا يدرسونها حاليا فى جامعات (أكسفورد البلد) .. وجامعة (كفر دالوس) .. أيضا حكايته مع الملك الذى قتل عشرات المدرسين الأوائل .. وكبار الموجهين الذين فشلوا فى تعليم حماره اللغة الإنجليزية وعندما عرضوا الأمر على جحا .. وافق على الفور بشرط أن يعطيه الملك مهلة عشر سنوات .. وعندما سألوه .. أجاب بكل ثقه .. بأن الأمر هين وبسيط .. فخلال هذه المدة إما أن يموت الملك .. أو يموت الحمار ..!!! دبلوماسية هذه الأيام .. أصبح لها شكل آخر .. وأدواتها اختلفت عن المسامير .. والحمير .

فالدبلوماسى هو الذى يتكلم كثيراً .. ويقول كثيراً وكلما تكلم أكثر .. كان الغموض أكثر .. وكلما أراد الزيادة فى الإيضاح .. كلما استغلق الفهم واستحكم .. وازداد ما يطرحه من أفكار ظلاما وتعتيما !! ... والدبلوماسى عندما يتكلم ... فإنه يصعب معرفة مصدر الصوت الذى يخرج من مكان ما !!.. ولكن مع شدة التدقيق فإنه يمكن مشاهدة حركة فى زاوية فمه تتواءم مع حركة رأسه مرة يميناً ومرة شمالاً .. والكلام الدبلوماسى عبارة عن مجموعة من الأقنعة تخفى الوجه الحقيقى .. أو عبارة عن دودة تسير على أربعة وأربعين رجلاً يستحيل أن تعد خطوتها ... ولابد أن يكون كلاما طريا

مدهونا بكل مستحضرات التجميل ليخفى ما به من تشوهات وقبح !!... ولأن الإنسان مربوط من لسانه .. فإن الدبلوماسى (العقر) لا يمكن إمساكه وينزلق كما (القرموط) .... إلا أن هناك أيضا دبلوماسى غشيم .. خام .. مبتدئ فى كار الدبلوماسية .. وهذا النوع يتعرض للمآزق خاصة إذا (دب) تصريحاً أو (عك) فى الكلام ...وقد تقع أزمة عالمية إذا كان المدب رئيس أمريكا مثلما حدث وانفلت قفل لسانه عن تصريح بالحرب الصليبيه ضد الإسلام ... ولأن رئيس أمريكا من العيب أن يعتذر .. فقد سارعت فرق ترميم الكلام باستخدام طرق القص واللزق .. واللف والدوران .. والتورية والاستعارة ليفهم الناس فى النهاية .. أن الرجل جاهل وقليل الخبرة بالشئون الدولية .. واعتبروها عيل وغلط .. وخلاص !!! .

وكان لابد من الدروس الخصوصية وحتى لايظهر (المستخبى) مع زلات اللسان .. والتدريب كان بمناسبة الإرهاب (الإسلامى) ومشكلة الشرق الأوسط .. وكانت (الحصة الأولى) هى أن يقول مائة مرة (أنا زعلان من عرفات) .. أنا (مشمأنط من عرفات) لابد من وقف الإرهاب الفلسطينى .. حماس والجهاد .

وكانت (الحصة الثانية) أن يبغبغ يوماً بعد يوم عن حزب الله .. وضرب العراق .. ثم بعد ذلك إيران وسوريا .. الحصة الثالثة عن قيام دولة فلسطين .. ولكن .. وقيام دولة فلسطينية .. ولكن .. وهذه يقولها فى

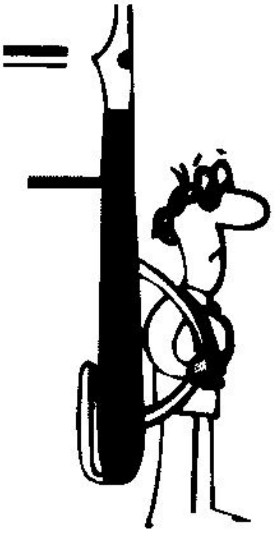

المناسبات .. وعندما كانت تضيق نفسه بالدروس الخصوصية .. يعطونه راحة .. وفسحة .. وزيادة فى المكافأة كانوا يرتبون له لقاء مع شارون لينطلق على سجيته (ويتبحبح) فيقول إن شارون رجل سلام .. ومن حقه أن يدافع عن النفس .. وعن الدم اليهودى الغالى .. وأمن إسرائيل الذى لايتحقق إلا (بهرس) الناس لحما وحجراً ومدنا وطرقا وأطفالاً ونساء فإسرائيل فى حاجة إلى الأمن الذى لم يتحقق لها وهى تمتلك كل ما أنتجته الآلة العسكرية من عتاد ... والفلسطينيون المجردون من كل شئ متوفر لديهم الأمن وكأنهم يشترونه من السوق .

وبعد أن أتم (بوش) كورس الدروس الخصوصية جهزوه للدرس الأخير .. وتم تجهيز المسرح .. ليظهر وعن يمينه الرجل ذو الوجه الشمعى باول الذى وقف كتمثال فقد الحياة وعن يساره الرجل الخفاش ذو الوجه الكشر رامسفيلد .. ومن خلفه خفير الأمن القومى كوندليزا .. وتكلم بوش - وهذه المرة بلا دبلوماسية - أو بدبلوماسية (الدبش) .

- عرفات وسلطته الفاشلة الإرهابية عليهم الرحيل غير مأسوف عليهم .. فقد فشلوا بعد سنوات أوسلو فى ترويض الفلسطينيين .. ليرحلوا .. وبدون (ماتش اعتزال) - لابد من

وجود قيادة جديدة على رأسها (قرضاى) والأحسن أن يكون(أنطوان لحد) فلسطينى .. ديموقراطى الوجه ... شفاف القوام ... وتسريحة الشعر على شكل مؤسسات !!..

والمؤهلات ثقافية توسلية .. والخبرة إرضاء الأسياد .. ويستمتع بالزحف على أربع .. ويعمل ذاتيا .. بدون استخدام الريموت كنترول ... والهوايات .. كراهية الاستشهاد .. وتفكيك المقاومة .. وصفاته ألا يخجل إذا وصفه أحد بالعمالة ويشعر بالزهو والفخار بالخيانة .

والأهم من ذلك أن تقوم هذه القيادة بإعطاء جيش اليهود إجازة ... فهو فى حاجة إلى راحة .. بعد أن قضى حوالى عامين تائها فى الشوارع الفلسطينية داخلاً خارجاً .. يهدم ويقتل فى حرب لا يبدو لها نهاية .. وهذه هى مسئوليتها الأولى .. تضعها كالحلق فى أذنها .. أمن إسرائيل أولاً .. وأمن إسرائيل ثانياً يعنى بصريح العبارة يريد (بوش) حربا أهلية فلسطينية !!..

أما الثمن .. وأما وعد بوش .. فهو دولة فلسطينية إذا تحقق أمن إسرائيل وإذا جمع الفلسطينيون زجاجة من لبن العصفور .. وأدخلوا البغل فى الأبريق .. وعلموا حمار جحا اللغة العبرية حتى يفهم ما يقوله شارون وعندما يقصون أظافرهم التى تخربش اليهود .. وعندما يسمعون كلام بابا بوش .. وماما كوندليزا .. واونكل (بيريس) .. وأن يغسلوا أيديهم قبل الأكل وبعده .. وعندئذ قد ينالون الرضا .. وبركات المساعدات الأمريكية .. ويكون من حقهم مكافأة لهم .. دولة هلامية .. تبدأ بتحويطه من سور حول المدن الفلسطينية لتصبح أشبه بمعسكر اعتقال لكل شعب فلسطين .. ثم تتحدد ملامح هذه الدولة بعد ثلاث سنوات ... وهذا هو الجزء الوحيد من تصريح بوش الذى تنطبق عليه دبلوماسية جحا .. فبعد ثلاث سنوات يكون إما بوش قد رحل أو أن شارون قد رحل ليحل محله شارون آخر اسمه نتانياهو أو حتى اليعازر ... ثم تبدأ الدورة الجديدة .. بكرسى فى الكلوب .. وتلكيكة فتمحكية .. ثم العين الحمراء .. يتبعها إغلاق أبواب معسكر الاعتقال المسمى بدولة فلسطين العربية المستقلة .. ثم .. تصدير هذا المعسكر بمن فيه إلى أى صحراء مجاورة !!!..

تصريح بوش خلا من كل أصول الدبلوماسية .. وهو ليس ضوءاً أخضر أو أحمر أو بنفسجى لإسرائيل لكى تفعل ما تشاء وهو ليس أيضا إعلان حرب ... لأن الحرب شغالة على الفلسطينيين لم تتوقف .. دائماً هى إقرار بهذه الحرب ومباركة لها وموافقة عليها وإدخالها ضمن استراتيجية أمريكا فى حل مشاكل الإسلام والمسلمين فيما يسمى بالحرب ضد الإرهاب.

بقيت كلمة أخيرة بعد أن اتضحت النيات .. ولم يعد هناك أى داع للكلام الدبلوماسى المنمق متعدد الوجوه والأغراض فقد ارتفعت الأصوات الموسمية التى تنادى بعدم تفويت الفرصة والقبول بعرض بوش .. والحجة البالية التى تقول إن العرب أصحاب مهارة خاصة فى

تفويت الفرص .. والقبول لاحقا بما كانوا يرفضونه سابقاً ..

نعود إلى الماضى ونسأل سؤالاً بريئا .. ونتصور أن الفلسطينيين والعرب قبلوا بقرار التقسيم الذى قسم فلسطين بين اليهود والفلسطينين .. فهل كان اليهود سيقبلون يدهم شكراً وحمدا لله على هذه النعمة .. ويظلون طوال حياتهم معترفين بهذه المنحة والأريحية العربية .. والكرم الحاتمى محافظين على أصول الجيرة والمودة بين الحبايب ؟!.. هل كان اليهود سيقومون بوضع أحذيتهم فى فم حاخامهم الذى يصف العرب والمسلمين بأنهم خنازير وحيوانات وأقل من الصراصير خوفا من إغضاب أصحاب الشهامة العربية ؟؟

هل كان اليهود سينسون أنهم شعب الله المختار وأن الله وعدهم بدولتهم من النيل إلى الفرات .. وأن كراهيتهم التاريخية لأمة محمد قد انتهت بعد هذه المكرمة من أبناء عمهم إسماعيل .. وبعد أن اتضحت النوايا .. واختفت دبلوماسية الكلام .. وصار الفعل على عينك يا تاجر .. ولم يعودوا فى حاجة إلى إخفاء نواياهم وتعرت الحقائق فإسرائيل دولة يهودية ، قامت على مبادئ التوراة المحرفة .. وتستند فى حياتها وتنظيرها وفلسفتها على أقوال حاخاماتها الذين يعتقدون بأن صراعهم مع الإسلام .. صراع وجود .. لاصراع حدود .. وهى تلزم العالم الآن باحترام شعائرها .. وما من زائر لها إلا ولصق قرص الطاقية على رأسه إجلالاً وتقديراً وأيضا نفاقا فى حين أننا نعلن فى حضارة

وتقدم وتنوير أنه ليس لدينا حزب يقوم على أساس دينى (عيب) والآن وقد أعلنوا وأقروا بالحرب .. فلم يبق لنا إلا خيار واحد وهو ليس خياراً استراتيجياً ولا أيضا فقوساً تكتيكياً وإنما هو خيار واختيار الأحرار .. المقاومة ولا سبيل غيرها ولكى تظل إسرائيل تبحث عن الأمن طول حياتها وليسقط جحا .. وحمار جحا ..!!

٢٣ يوليو
الثورة غير المباركة

ما من مرة رأيت مشهداً فى التليفزيون يمثل اجتماعاً لأحد المسئولين بمرء وسيه .. إلا وتذكرت ثورة يوليو .

المشهد المكرر سواء كبر المسئول أو صغر عبارة عن وجوه (متنّحة) تيبست عضلاتها ففقدت التعبير ... عيونها مصوبة إلى شخص متصدر المائدة .. تظهر على وجهه (المتختخ) علامات القمة .. والانشراح .. مع كلامه يتحرك جسمه فى حيوية الراقصة .. وكأنه يقول (يا أرض اتهدى ما عليك قدى) .. فهو يتكلم .. ويتكلم .. ويشوح بيديه .. ويشير بأصبعه كأنه (شنيور) يريد أن يخرم به أدمغة (الأسرى) الذين ساقهم مصيرهم إلى هذا الاجتماع ... ومُحرم عليهم إصدار ما ينم عن أنهم فقدوا متابعة (توجيهات) .. (ونصائح)

سيادته التى لم تأت بها (ولادة) من قبل .. والله وحده العليم أن كل واحد منهم قد شت فكره وشطح بعيداً .. فى سوق الخضار .. ومطالب الأولاد .. وجلسة المقهى وقد ينكسر هذا الجمود .. عندما يبتسم المسئول .. وعندما يتطور الكلام (وتحبك النكتة) .. إلا أن الزمن والخبرة هنا تظهر قيمتها عندما يعمل الدماغ سريعا لتقييم هذا الموقف الجديد من واقع جداول النفاق .. ومانفستو التبعية .. فقد تكون هذه الابتسامة كمينا أو فخا منصوبا لاصطياد أحدهم وجره إلى الكلام .. أو يكون اختباراً لدرجة التركيز والمتابعة .. هنا يختلف رد الفعل إما عن ابتسامة مترددة جاهزة للرجوع فوراً إلى درجة التجمد أو تنفرج عن ضحكه مؤيدة مغتصبة ولكنها مطلوبه وتؤدى الغرض .

ثورة يوليو التى لم تكن مجيدة فى يوم من الأيام ... لازال لها دراويشها .. ومادحوها .. وغالبيتهم من الشيوعين الذين أسقطهم الزمن من حسابه وفقدوا بريقا وشهرة كانت تحيط بهم .. وكذلك بعض المخدوعين من (طنين) الحديث عن الإنجازات .. (والزن) بالشعارات .. والزوابع الكلامية التى هى أشبه بحكايات القهاوى يتحدثون بها على طريقة الحشاشين فى نفث الكلام مع الأنفاس .. عن الزعيم .. والملهم الذى كان على موعد مع القدر .. وكأنما لم تكن مصر تغلى بالثورة ضد ملك فاسد داعر .. وكأنما كان شباب مصر مسكينا لحكم إقطاعى متخلف .. ولقد كان التطور الطبيعى .. هو قيام ثورة شعبية تقود حركة النهوض والتقدم فى ظل نظام شورى يرعى مصلحة الناس .. وهو ما حدث فى بلدان كثيرة من العالم .. لم تتعرض لغزو داخلى من العسكر بحجة الإنقاذ والسير فى طريق المقامرات .. وراء شعارات فاشلة تمجد الفرد .. وتنحدر بكرامة الشعب ..

الحديث عن الإنجازات .. هو حديث المفلسين ذوى الوجوه المكشوفة التى تبرأت من الخجل .. فهل من المفروض أن من يحكم .. لاينجز؟!.. جميع رؤساء العالم ينجزون .. بل ويعمل أكثرهم كسماسرة لترويج تجاراتهم وتسخير علاقاتهم للفوز بالصفقات لمنتجاتهم .. ورغم ذلك لا يسلمون من النقد .. وأحياناً تقول لهم شعوبهم .. تنحوا بلا شكر على واجب قدموه .. ولا حتى مع السلام .. ولولا أن تلك الدول تريد أن تحافظ على نظافة شوارعها لكسروا وراءهم القلة .. والزير .

فإذا جنبنا منجزات الثورة - دون أن نناقش تفاصيلها كما تفعل أيضا شعوب العالم وتقيمها اقتصاديا .. كم تكلفت ؟؟.. وما هو عائدها الحقيقى .. وما هو الرقم الحقيقى لما تم نهبه من ورائها !!..

فإنه لا يتبقى أمامنا إلا مناقشة الفشل .. والخيبة .. والانكسار .. والهزائم وكيفية اتخاذ القرارات .. وكيف تبددت ثروة أغنى بلاد المنطقة .. لتصبح أفقرها .. مهددة بالجوع .. والضياع .. لن نتحدث عن وكسة أو نكسة ٦٧ أو الهزيمة .. التى لم يُحاكم فاعلوها ، حتى وإن ماتوا ، محاكمة شعبية .. حتى يستقر فى وجدان الأمة ما ارتكب فى

حقها من جرائم أسوة بما فعلت أمم كثيرة .. وبدلاً من ذلك استمرت ألعاب السيرك فى مناقشة أخطائها على طريقة الرياضى .. وفى ضوء القاعدة بأن الرياضة فائز . ومهزوم .. وعلى المهزوم أن يتحلى بالروح الرياضية العالية .. وخيرها فى غيرها ..!!

وحتى هذه الطريقة الرياضية لم ينفع فيها حالات هزائم فرق القدم القومية التى يتبعها ثورة شعبية تطيح بالمدير الفنى والاتحاد وتصل إلى تسريح اللاعبين !!..

وإنما سنتحدث عن الجريمة الكبرى فى حق هذه الأمة إذ أن الخسائر المادية مع فداحتها يمكن تعويضها .. فقد قامت اليابان وألمانيا بعد أن دكت الحرب كل شئ فيها .. ولكنها لم تدك إرادة الإنسان .

فى بدء قيام الثورة ... يقول الراوى إن (عبدالناصر) كان نائما على سريره .. وقفز فجأة واقفا .. وهو يصيح على طريقة (البكباشى) أرشميدس .. وجدتها .. وجدتها .. إلا أن صيحه أرشميدس نقلت البشرية إلى آفاق غير محدودة من العلم والاختراعات .. وصيحة عبدالناصر نقلت الأمة إلى مزيد من التخلف والاندحار ..

كان (عبدالناصر) يحلم بأن يضغط على أزرار فيتحرك الشعب .. حلم الدكتاتور .. والسيطرة .. والقهر .. والشمولية .. دعاة الفرد .. وكان الذى وجدها .. هو السبيل إلى ذلك بالتحكم فى أرزاق الناس .. بتحويل الشعب إلى موظفين .. أجراء .. يمدون يدهم فى أول كل شهر مطالبين من بابا المصروف .. (بالمم) .. وفى سبيل ذلك سلم عبدالناصر رقاب الناس إلى من يأتمنهم على رقبته .. بصرف النظر عن صلاحيته أو كفاءته .. فاتسع الخوف .. وبدأت المؤامرة الكبرى لإنتاج إنسان مهجن .. عبارة عن جهاز هضمى .. له فتحه لدخول الطعام وأخرى للعادم .. متردد .. مراكز التفكير فى مخه مغلولة بأثقال .. وروحه مكلبشة فى جسده .. لا تفرح .. ولا تحزن .. ولا تهتم .. ولا تهزها زلازل الأحداث تائه داخل غابة من مشاكل الحياه التافهه .. مغيب العقل .. مخدر الوجدان .. تنعدم شهيته للارتقاء والتقدم .. خامد الغيرة .. مستأنس .. لا يهش ولا ينش .. ينتظر التلقين .. ويتشوق إلى التوجيه .. والذكى والألمعى هو الناضورجى الذى يدرك اتجاه الريح .. والموهبة المسموح بها هى المعرفة فى كيفية ركوبه سلم النفاق .. و(الوصول) دائما يكون على جثث الغير ، هذه الشخصية هى التى قادت الأمة إلى الهلاك وأهدرت أعظم ما أوتى بنى البشر من نعمة العقل .. والحرية والاختيار .. وأعطت غيرها توكيلا على بياض يتصرف فى مصيرها كيفما شاء .. وارتضت أن تعيش فى الظل .. تتبع الخطا .. وترتجف إذا فقدت دليلها رغم أنه كان يقودها نحو الهاوية .

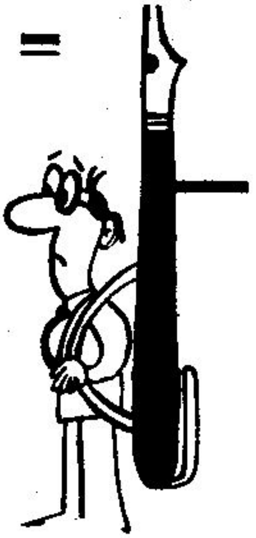

هذه هى أم الجرائم .. اقتضت الأمانة أن نحيى بها ذكرى مرور خمسين عاماً على غزو مصر على يد عبد الناصر خان فى يوليو ١٩٥٢ .

عودة إلى الحجاب

فى موسم الصيف تكثر أمراض الحساسية .. والحساسية من الأمراض التى يصعب تحديد أسبابها .. فقد تصيب إنسانا سولت له نفسه (الأمارة بالسوء) أن يأكل فسيخ أو إنساناً آخر ضعيفاً أمام المانجو .. أو واحداً لا يرحم نفسه فيفطر بكرتونة بيض .

إلا أن هناك أسبابا أخرى للحساسية وحسب النكتة الشهيرة .. بأن أحدهم قد نام وهو (زعلان) واستيقظ من نومه فوجد أن اسمه (برعى) !!.. شئ أشبه بذلك يسبب حساسية للعقل ، والمعروف أن الحساسية تسبب طفحا على الجلد فى شكل بقع ملتهبة .. إلا أن الحساسية التى تصيب العقل تظهر فى شكل كتابات مبقعة أو كلام ملئ بالقروح الصديدية وأوانها فى المواسم (القومية) التى يُراد فيها صرف الانتباه عن خيبة معينة .. أو أزمة ليس لها حل .. فيخرج أحدهم بالكلام عن الختان .. أو تعدد الزوجات .. أو إعفاء اللحية وأخيراً .. خرجت إحداهن بالكتابة عن الحجاب .. الحجاب انتشر لأن وراءة تنظيم إسلامى يرتبط بالقاعدة .. يعنى الحجاب أصبح من أسلحة الدمار الشامل .. عندما تتحجب واحدة فإن ذلك خطر على الأمن القومى .. وكأنه سبب نكسة يونيو ٦٧ .. أو مصيبة وراء أزمة الدولار .. أو العائق الأساسى فى عجز الميزانية !!..

الست الكاتبة الكبيرة أجهدت نفسها -ياولداه- وظلت تفكر .. وتفكر .. وتفكر .. ثم خرجت علينا بأنه لايوجد نص يوجب الحجاب .. الشئ الذى كان يجب أن تعلل به بحثها أن توجد نص يبيح العرى .. والغمز بالعين .. ومرجحة الوسط .. والشخلعة على الكعوب قالت - لا فض فوها - الحجاب كان شيئا أشبه (بالموضة) للتفريق بين الحرائر والإماء .. وأن الحكم يدور مع علته .. هذا الدوران .. الغرض منه أن يؤدى إلى التوهان .. ويصيبنا بالعلة (هى تنقل هذا الكلام عن مستشار استطاع بعبقريته أن يلوى الآيات ويعصرها فى اتجاه (الشمين) ولاشك أن توظيف الضلال أصبح فى حاجة إلى خبراء ومواهب) .. ما علينا .. ياست إذا كان هذا هو رأيك فقد سمعنا ما هو أسوأ منه .. والدق على الآذان لم يتوقف لحظة واحدة .. وتراقص أمام العيون شتى أنواع الصور والتصاوير .. والمشاهد .. والتمثيل .. والدجل .. وشغل الحواة .. والثلاث ورقات .. لم يكسب أرضا .. ولم يهزم فطرة المرأة المسلمة .. التى رأت فى حجابها .. الكرامة .. وعزة النفس وليس ذلك فى حاجة إلى دليل أو برهان لأن روح الإسلام ومقاصده واضحة لمن أراد الله له الهداية .. ومن هذا المنطلق فإن الحجاب قد يكون أكثر ضرورة لكثير من الرجال ... ياست الكل قولى ما شئت .. وإذا تصورت أنه بكتابتك هذه سيرميك أحدهم بالكفر .. لكى تشعليها معركة ... وتصبح الجنازة حارة

والميت كلب .. فتأكدى من أن ذلك لن يحدث ... أولا لأن الاتهام بالكفر لم يعد يزعج أحداً .. بل إننى أتوقع أننا سنسمع يوما عن أن أحدهم قد أصبح لقبه الأستاذ الدكتور المستشار الكافر فلان الفلانى ..!!

ياست الكل قولى ما شئت .. فلن يرميك أحد بالمروق .. حيث إن المروق أصبح اصطلاحا لا يستخدمه إلا رئيس أمريكا ..

لقد صورت لك الهلاوس أن هناك تنظيما سريا برأسه مفتى الديار ، وأعضاؤه النشطون هم وعاظ وزارة الأوقاف وأنهم يستخدمون سلاح الوعظ بالليزر .. والفتاوى المفخخه لإرغام السيدات على لباس الحجاب .

ياست الكل لو لم يكن هناك نص يفرض الحجاب .. لكان هناك ضرورة إسلامية لصيانة المجتمع من شظايا انفجارات الغرب الفجورية والمحافظة على الهوية .. وإعلانا للتحدى ضد

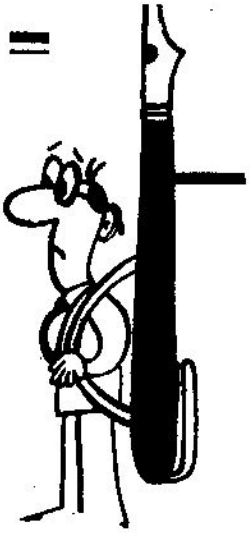

الهجوم على ثوابتنا وأصولنا .. وهو ما أصابك بتلك الحساسية تجاه الحجاب .

... ياست الكل واحدة ارتضت لبس الحجاب .. أيه بس اللى مزعلك ؟!..

ياست الكل اختشى .

ياست الكل قولى ما شئت .. فنحن لسنا هنا .. ولكنى أخشى عليك أن تقومى من النوم فتجدين نفسك وقد أصبحت (برعى) !!.

اقتراح

تلجأ الدول لتسمية الشوارع بأسماء المشهورين كما أن هناك دولا عديدة تسمت بأسماء أشخاص فنظراً لأن الرئيس بوش اقترح دولة فلسطينية مؤقتة وهذا الاسم غير موسيقى ويفتقر إلى الجاذبية وأسوة بما يتبعه العديد من الفنانين الذين يغيرون أسماءهم البلدى إلى أسماء راقصة كما فعل خليفة أبو خطوة مطرب الشباب فقد غير اسمه إلى مطرب الملايين غراب أبو خطوة وعملا بمبدأ إرجاع الفضل إلى أهله والجرم إلى مرتكبه فإننا نقترح تسميته دولة فلسطين باسم راعيها الدينى بوش وحاضنها ومكتشفها شارون لتكون بدلا من دولة فلسطين المؤقتة إلى دولة شاروبوشطين العظمى .

د . أيمن رياض

د . صلاح عز

تنحى عرفات يؤمن شرعيته
ويضع الشركاء أمام مسئولياتهم

خاص : المختار الإسلامى

لا جدال فى أن رد الفعل الطبيعى على الإملاء الأمريكى بإزاحة ياسر عرفات من رأس السلطة ، وتهديد الشعب الفسطينى بالويل والثبور إذا لم يمتثل ، لابد وأن يكون الرفض والإصرار على عرفات .

والاحتمال الأقوى هو أن يكون المقصود بهذا الإملاء هو عكس ما يذهب إليه ، أى تأمين بقاء عرفات على أساس أن الإصرار على بقائه (فى وقت كانت شعبيته فيه فى انخفاض مستمر) سيكون هو رد الفعل الطبيعى والمتوقع لبيان بوش الممعن فى إهانته للعرب . ولكن لماذا يريد الصهاينة الإبقاء على عرفات ؟.. ألم يفشل فى مهمة العمالة لإسرائيل وتأمين احتلالها ؟.. ألم يرفض "عرض باراك الكريم" فى كامب دافيد منذ عامين ؟.. على الرغم من كل ما صدر عن الأمريكيين ضد عرفات من تهديد ووعيد ، ومن خيبة أمل الصهاينة فيه لفشله فى حفظ أمن إسرائيل ، فإن هناك ثلاثة أسباب تجعل فى بقاء عرفات مصلحة للصهاينة :

أولا : أنه لا يوجد بديل أفضل منه يستطيع من ناحية أن يبقى على نظام حكم الرجل الواحد ، الذى هو أحد أهم أسباب العجز والتخلف العربيين ، ومن ناحية أخرى أن يقدم ما يتلاءم مع سقف توقعات شارون الجديد الذى رفعه بيان بوش إلى مستوى لا سابقة له (كتب أمنون روبنشتاين فى الاندبندنت أن امتداح الحكام العرب لبيان بوش رفع معنويات الإسرائيليين) .

ثانيا : حصر القضية فى شخص عرفات ، فى ظل هوس الحكام العرب ببقائه ، يضع قيدا جديدا على سقف توقعات السلطة الفلسطينية والأنظمة العربية لفترة طويلة

قادمة ، ويفرض على الجميع هماً إضافيا يدفعهم إلى تعديل أولوياتهم والسكوت عن القضايا الأهم ، ويجعل من سكوت أمريكا وإسرائيل على بقائه تنازلا كبيرا يتطلب ثمنا باهظا مقابله قبل التوصل إلى اتفاق .

ثالثا : أما فى حالة العجز عن التوصل لاتفاق ، فإن عصيان الشعب الفلسطينى لأوامر بوش سيكون ذريعة لفظائع أخرى فى حق الفلسطينيين ، قد تصل إلى درجة تجاوز آخر الخطوط الحمر، أى الطرد المنهج للشعب مما بقى من أرضه (الترانسفير) . لقد فرضوا قرار التقسيم الذى كان من البدهى أن يرفضه العرب لأسباب معروفة ، فاتُخذ هذا الرفض ، وما زال حتى اليوم ، ذريعة للتوسع ، وأداة لإطلاق أكاذيب دعائية عن سعى العرب لإلقاء إسرائيل فى البحر . وقدم إيهود باراك عرضا هزليا فى كامب دافيد كان من البدهى أن يرفضه عرفات ، فاتُخذ الرفض ذريعة لاستفزاز الفلسطينيين إلى أحداث عنف ، وأداة تبرر إعلاميا إعادة احتلال الضفة وإطلاق يد شارون فى الدم الفلسطينى . ثم أخيرا قدم بوش فى بيانه عرضا تعجيزيا آخر للفلسطينيين يطالبهم فيه بتغيير قيادتهم الشرعية دون أن يقدم لهم أى حافز يمكنهم من ذلك ، ويتعهد بإقامة دولة دون أن يضمن لهم أنها ستختلف عن رؤية شارون لها . فهل سيُتخذ عجز الفلسطينيين عن تنفيذ إملاءات بوش (عندما يعيدون انتخاب عرفات يناير القادم ويستأنفون مقاومة الاحتلال) كذريعة لطرد وترحيل فلسطينيى الضفة ؟..

لقد ذهب السيد أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس مبارك للقاء أريل شارون ـ وهو حدث أبعد ما يكون عن الروتينية ـ من أجل مطالبته بالكف عن الحديث عن استبدال عرفات . هذا يدل على مدى النجاح الذى حققه الترهيب النفسى الصهيونى للمسئولين العرب فى إصابة عدة أهداف بالضوضاء المثارة حول جدوى استمرار عرفات فى الحكم . فقد أدت هذه الضوضاء إلى: أولا استهلاك الوقت والجهد فيما يضر ولاينفع ـ ثانيا توفير عامل ضغط عربى ، جاهز دوما للتوظيف ضد المقاومة الفلسطينية ، من خلال زرع القلق فى صدور القيادات العربية على مصير زميل لهم قد تشكل إزاحته سابقة يمكن تكرارها مستقبلا عند الضرورة ـ ثالثا صرف الأنظار عن القضايا الحقيقية مثل الانتهاك المتواصل لأرواح وأملاك وحرمات الفلسطينيين العزل فى المدن الفلسطينية التى تحولت إلى معسكرات تركيز ممنوع عنها الغذاء والدواء ، واستباحة المساجد والكنائس بالحرق والتدمير، والاستمرار فى الاستيطان وتهويد القدس تحت غطاء من التعتيم الإعلامى .

لم يكن عرفات هو وحده المستهدف بالحملة الشرسة التى بدأت فور فشل قمة كامب دافيد بهجوم من مختلف أجهزة الإعلام الصهيونى فى إسرائيل والغرب عليه لرفضه تسليم

القدس والحرم . استهدفت الحملة أيضا المسئولين العرب الذين شجعوا عرفات على هذا الرفض . وكان المقصود من تحويل عرفات إلى "جوال ملاكمة" ، بتحميله مسئولية كل ما يجرى ، هو الضغط معنويا على الحكام العرب الملتزمين بـ "خيار السلام الاستراتيجي". كل الإهانات التى وجهت لعرفات ("بلطجى إرهابى" من باراك - "مجرم بلطجى" من شارون - "لا أحترمه" من بوش - "مخيب لآمال شعبه" من بلير) أتت ثمارها فى صورة عقلية إنهزامية وإحساس بالدونية على مستوى الجميع . لم يطالب عرفات مثلا بتطبيق مبدأ التبادلية فى مسألة الاعتقالات (قتلة زئيفى مقابل قتلة أبو على مصطفى) رأيناه يتوسل ويشكو ويتلهف ويتراجع ويتردد وينفعل ويقنع بأدنى السقوف ويبتلع شتى الإهانات ، وفى النهاية لم يثبت على موقف واحد منذ توقيع أوسلو باستثناء صموده فى كامب دافيد بشأن الحرم القدسى . وحتى فى هذه المسألة لم يكن الثبات كاملا ، عندما أعلن تخليه عن حائط البراق لإسرائيل ، وارتكب بذلك خطيئة اللورد بلفور الذى أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق . وقد كشف حسن عصفور المسئول الفلسطينى بعض ما جرى فى كامب دافيد عندما كتب غاضبا فى (هاآرتس ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠١) يشكو مما قاله شلومو بن عامى فى حديث له مع الجريدة من أن "الطرف الفلسطينى لم ينضج بعد لدرجة تؤهله إلى تسوية" ، فرد السيد عصفور قائلا "هل نحن غير ناضجون لأننا تنازلنا لإسرائيل عن ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية ؟.. لأننا احتكمنا لقرار ٢٤٢ وليس قرار١٨١ ؟.. لأننا أعطينا موافقة غير مسبوقة على بقاء المستوطنات حول القدس الشرقية ، على الرغم من أنها غير شرعية فى عيون العالم ، وأنها تحاصر القدس العربية من جميع الجوانب باستثناء ممر ضيق يصلها برام الله ؟.. لأننا وافقنا على وجود محطات رادار لكم فى أراضينا على الرغم من أن ذلك ينتقص من سيادتنا ؟.. لأننا وافقنا على أن تكون لكم السيادة على الربع اليهودى والحائط الغربى ؟.. "

الواقع أن بن عامى لم يكن مخلا بالحقيقة عندما وصف السلطة بعدم النضج ، وإلا فبماذا نصف طرف يتنازل عن حقوق وطنية ثابتة وتراث تاريخى مقدس بدون مقابل ، مع التفريط فيما يحتكم إليه العالم :

قرارات وشرعية الأمم المتحدة ؟.. غير أن الأمانة تستدعى الإقرار بأن عدم النضج هذا يجب أن ينسحب أيضا على شركاء عرفات الذين وفروا له الغطاء الذى مكنه من إقرار هذه التنازلات .

لم يكن عرفات إذن هو وحده المسئول عن التنازلات المهينة التى أدت إلى فك الحصار عنه وعن كنيسة المهد ، والتى نتجت عن ضغوط عربية مورست عليه بإيعاز أمريكى

وإذن إسرائيلى سمح للوفود العربية بالوصول إلى مقره المحاصر. وكل الاتفاقات التى وقعها عرفات تم إقرارها فى ظل غطاء سياسى عربى توفر له أحيانا بالترغيب وأحيانا بالترهيب والتهديد للتوقيع على أوراق تناقض ما تم الاتفاق عليه . شركاء عرفات العرب هم الذين زرعوا فى رأسه الأوهام وزينوا له الإفراط فى الثقة بالأمريكيين ، وشجعوه على الازدراء بالمعارضة وعدم الالتفات إلى تحذيراتها بشأن موقف إسرائيل من هذا الاتفاق وما تتوقعه من السلطة الفلسطينية . حرض الشركاء أيضا عرفات على الزج بالمعارضين والمقاومين فى المعتقلات لتأمين المفاوضات كهدف لذاته . وها هى نفس العقلية المنهزمة تعود ثانية لتدفع عرفات إلى الواجهة لكى يتحمل وحده أمام شعبه والتاريخ مسئولية التفريط فى حقوق وتضحيات الشعب الفلسطينى الباهظة ومصادرة حق أجياله القادمة فى تقرير مصيرها فى ظل ظروف مختلفة .

عرفات

تنحى عرفات عن السلطة يخدم إذن الحقوق الفلسطينية لأنه يشكل ورطة لجميع المسئولين الذين اعتادوا توجيه الإهانات إليه وابتزاز التنازلات منه ، حيث سيكون من الصعب عليهم تكرار هذا النهج مع قيادة جديدة شابة وخاصة إذا كانت ممن ساهموا فى توجيه الانتفاضة وتفعيل المقاومة . قيادة كتلك لن ترضى بالدونية ولا بابتلاع الإهانة تلو الإهانة ولن تجدى معها حملات الترهيب النفسى التى حققت نجاحات متواصلة مع الرئيس عرفات وشركائه العرب . أيضا فإن الأوضاع الجديدة بعد ١١ سبتمبر والاجتياح الإسرائيلى وعودة الاحتلال المباشر وبيان بوش ، أفرزت نوعية أشد قسوة من الضغوط لا تترك لعرفات مساحة تُذكر للمناورة ، ولا تمكنه من الاستمرار فى التردد بين الصمود والاستجابة لإملاءات الأعداء . يعنى ذلك أن تنحيه هو الخيار الوحيد الذى يعفيه من عواقب الخوض مجددا فى مستنقع التنازلات المجانية الذى انتزعته منه انتفاضة الأقصى ، ويحفظ له رصيده النضالى ورمزيته وشرعيته .

تستند الضغوط العربية والغربية على عرفات على الكثير من التدليس والقليل من الأوهام ، وذلك بعد أن نجحت الانتفاضة فى إسقاط الأقنعة وهتك الغشاوات . فمثلا لن يحصل عرفات على شهادة حسن السير والسلوك مهما مارس من قمع للشارع الفلسطينى وبطش بالمقاومة ، لأنه سيحول

دونها دائما "ضرورة بذل ١٠٠٪ من الجهد" ، أى ضرورة إخضاع وتركيع ١٠٠٪ من شعب فلسطين ، فلا يلقى بحجر ولا ينطق بكلمة احتجاج (تحريض) . وهذا هو المستحيل بعينه لأنه ضد طبيعة الأشياء ، فالجسد الفلسطينى يقاوم مرض الاحتلال مثلما يقاوم جسد الإنسان المرض العضوى .

لم تكن مصادفة أن لا يجنى عرفات من تنازلاته طوال سنوات أوسلو وفى كامب دافيد سوى مفاقمة نهم الصهاينة للمطالبة بالمزيد ، فالسيناريو نفسه يتكرر منذ شهور مع برويز مشرف . لقد تعلمت الحكومة الهندوسية المتطرفة فى دلهى من الإسرائيليين كيفية ممارسة الحملات النفسية ضد الحكام المسلمين وتوجيه الأمريكيين للمساعدة فى ابتزاز التنازلات منهم . وهكذا لم تكتفى إدارة بوش بتوفير مشرف قاعدة لهم ينطلقون منها لإزالة حكم طالبان ، وفقدانه أفغانستان كحليف فى ظل صداقة حكومتها الجديدة للهند ، ومشاركته فى اعتقال فلول الهاربين من طالبان والقاعدة والآلاف من نشطاء الجماعات الإسلامية ، وإغلاق المدارس الدينية وطرد الطلاب الأجانب أو اعتقالهم . بعد كل هذه التنازلات ، وجد مشرف نفسه مطالبا بتصفية أهم قضية تتعاطف معها جميع طوائف الشعب الباكستانى التى تقدس كشمير كما يقدس العرب فلسطين . وبالفعل خاض مشرف فى مستنقع التنازلات العميق فأغلق مقار أكبر منظمتين كشميريتين فى باكستان ، وأغلق فرع المخابرات الباكستانية الذى كان يتولى تلك المنظمات بالرعاية ، وعلق دافيد لامب مراسل لوس أنجلوس تايمز (٤ يناير) على حملة مشرف بقوله "إن المدى الذى وصلت إليه حملة القمع ضد الانفصاليين الكشميريين أذهل المحللين السياسيين الغربيين الذين يرون أن مشرف قطع مسافة طويلة على طريق تلبية مطالب الهند." كما نقلت التلجراف عن القائد الكشميرى محمد موسى قوله "لقد طعنتنا باكستان فى الظهر وتخلت عنا". ثم تذرعت الهند بعملية إرهابية غامضة ضد مدنيين أبرياء على غرار الهجوم الغامض على البرلمان الهندى فى ديسمبر الماضى (أنكرت المنظمات الكشميرية أى صلة لها بكل من العمليتين) لكى تعود إلى لهجة التهديد التصعيدية ضد جارتها المسلمة.

ورد الأمريكيون على تنازلات مشرف بتوجيه ضغوطهم وتعليماتهم المتعجرفة إلى باكستان فى صورة أوامر هى نسخة من تلك التى يجرى إملاءها على عرفات بصفة روتينية (ينبغى عليه أن.. نحن نتوقع منه أن ..) . التعامل الأمريكى مع تنازلات العرب والمسلمين بتشديد الضغوط والإهانات هو إذن سياسة ثابتة تستهدف إنجاز استسلام عربى وباكستانى لحليفى الولايات المتحدة الاستراتيجيين فى الشرق الأوسط وآسيا . وبغض النظر عن الاختلاف فى طبيعة الذرائع

التى تستند إليها حملات الإرهاب النفسى والعسكرى فى الحالتين ، فالمطلوب من خصوم الحليفين هو الإيجابية فى تأمين هيمنتهما عسكريا بوأد المقاومة ، وثقافيا بتكريس الخنوع وتكميم الأفواه ومنع "التحريض"، فضلا عن نبذ التذمر والشكوى إزاء محاولات اعتصار أى تنازلات أخرى . أن يكون عرفات هو الأداة المنفذة لهذه السياسة الأمريكية ، فلا أظن أن حتى أشد معارضيه خصومة له يرضى له بهذا الوضع .

اللتان تتعاملان مع الأقليات المسلمة كل بأسلوبها الخاص . والمؤكد أن هذا الظرف العالمى الجديد لا تصلح معه أفكار الشيوخ الجامدة والدماء الراكدة التى توقفت حركتها فى شرايين الأمة منذ عقود مضت . نحن فى حاجة إلى من يسن سنة حميدة يدخل بها التاريخ من أوسع أبوابه ، وهى سنة تجديد الدماء فى الجسد حتى ينشط ويكون أكثر وعيا بما يُخطط له ، والتى بدونها يكون الحديث عن "إصلاحات" هو هزل فى موضع

السلام عليكم

الكلمة المقاتلة والتليفزيون الألمانى

الفريد هوبر أو "على هوبر" هُدى إلى الإسلام منذ عشر سنوات ، وهو منتج تابع لمحطة ARD الألمانية ، وهى محطة فضائية مكتبها الرئيسى بالقاهرة ، وهى تغطى منطقة الشرق الأوسط ، وقد قام بحوار مع السيد الأستاذ حسين عاشور المشرف العام على مجلة المختار الإسلامى والسيد الدكتور محمد مورو رئيس التحرير جاء فيه :

● السؤال الأول للأستاذ حسين عاشور :

ما هى الجهات التى تمول مجلة المختار الإسلامى ؟

– لا أحد .

● كيف ؟..

– أنشأت المختار الإسلامى للكتاب عام ١٩٧٢ أى منذ ثلاثين عاما ، قامت بطبع أكثر من ألف عنوان تناولت موضوعات عديدة من القضايا الإسلامية المعاصرة وحققت عائدا لا بأس به .. جزء من هذا العائد هو الذى يقوم بالصرف على تكلفة مجلة المختار الإسلامى .. ودعنى أصارحك القول : إن كتيبة المختار الإسلامى تتكون من خمسة عشر أكاديميا فى جميع أنواع التخصصات لا يتعاطون أجراً ، والكل يعمل احتسابا لوجه الله وصدقنى لو أن هذه الكتيبة تعمل من أجل العائد المادى ما كنا نشعر بهذه

ملف الشهر

توفيق الطيب

نكبتنا الثالثة ما بعد النكبتين

١٩٤٨
١٩٦٧
٢٠٠٢

إلى الذين لا يفكرون بعقلية ما قبل النكبتين أو بعقلية ما بين النكبتين .. بل الذين صهرت آلام النكبتين أعصابهم فأيقظت فيهم حس التفكير العميق الجاد بالمستقبل .. إلى جيل ما بعد النكبتين .

أصيبت أمتنا بنكبتين كبيرتين ، الأولى فى عام ١٩٤٨ ، والثانية فى عام ١٩٦٧ ، وكانت هاتان النكبتان - فى رأى الأستاذ توفيق الطيب مؤلف كتاب "الحل الإسلامى ما بعد النكبتين" - ترجعان إلى غياب البعد الإسلامى أو استبعاده قسراً ، لأن البعد الإسلامى هو الشرط الأساسى للنهضة والانتصار .. كانت النكبتان أيضا فى رأى "توفيق الطيب" تدشيناً لهزيمة فكرية هى السبب الحقيقى للهزيمة السياسية والعسكرية ، وإعلانا لإفلاس كل من المنظومتين الليبرالية ثم الاشتراكية ، وهكذا وضع توفيق الطيب يده على الجرح الحقيقى ، ووضع الأساس الصالح لتعديل المسار وبالتالى تحقيق أول شروط الانتصار .

كتاب توفيق الطيب الذى نشرته المختار الإسلامى بمثابة مدخل خطير وصحيح لمعرفة الداء ووصف الدواء ، واليوم إذ تعانى أمتنا من الهزيمة الثالثة - التى هى فى النهاية هزيمة رغم اختلافها عن الهزائم السابقة هزيمة دون معركة ونعنى بها السقوط فى بئر المساومة وأوسلو وكامب ديفيد ثم الاجتياح الإسرائيلى للضفة الغربية ومذبحة جنين ونابلس بدءً من ٢٠٠٢/٣/٢٩ وما صاحب ذلك من عجز عربى حكومى واضح وإفلاس للنظم السياسية القائمة ، وفساد الفكر العربى المعاصر المرتبط بالعولمة والهيمنة الغربية واستبعاد الإسلام أيضا .

كانت تلك هى النكبة الثالثة ، ومازال تحليل توفيق الطيب لأسباب النكبتين الأولى والثانية يحمل الكثير من النقط الصالحة للتفسير فى النكبة الثالثة ، وهكذا فنحن فى حاجة إلى قراءة جديدة لما كتبه توفيق الطيب وبعدها نكمل ما بدأه فى تحليل يواصل نفس الرؤية والمنهج للنكبة الثالثة .

ما بعد النكبتين
[مدخل]
٥ يونيو ١٩٦٧

أين نضعه فى تاريخنا ؟.. هل نضعه مع سقوط القدس على يد الصليبيين فى المشرق ، أم مع سقوط قرطبة على يدهم فى المغرب ، أم سقوط بغداد على يد التتار ؟.. كلا إنه أخطر من كل هذه الايام .. أخطر من يوم سقوط القدس (٤٩٣ هـ -١٠٩٩م) مهما كان الحس الدينى عندنا مرهفا ، لأن صليبيى الأمس

كانوا دوننا حضارة ولم يكن أمامهم الا أن يسلموا أو يرتدوا .. وقد حالت المسيحية دون إسلامهم فارتدوا .. أخطر من سقوط قرطبة (٦٣٥ هـ ١٢٣٧م) رغم أن صفحة مشرقة من تاريخنا قد طويت هناك ، لأن سقوط قرطبة طعنة فى الجناح أما هذه ففى القلب .. وأخطر من سقوط بغداد على يد التتار (٦٥٦ هـ-١٢٨٥م) رغم أن الحدث يكاد من هوله يتجاوز قدرتنا على التفسير التاريخى فنذهب فى تعليله إلى عامل غيبى فى التاريخ .. لأن التتار كالصليبيين لم يكن أمامهم بد من أمرين إما الذوبان أو الارتداد وقد أذابهم الإسلام بسرعة ..

لم تكن تلك الحوادث ذات مغزى حضارى ، لم تكن غزوا حضاريا بل كانت موجات من البرابرة تكتسح ما تلقاه فى طريقها ، وكانت عاجزة كل العجز عن التفاعل بالتراب .. وتعميق الجذور فى الأرض .. فقد كان طابع حياتها الترحال وهى بذلك لم تكن تحمل أى معنى من معانى التحدى وذلك بخلاف التحدى الغربى الحديث القائم حتى اليوم .

هذا التحدى الذى كان الإسلام قادرا بلا شك على رده فى حينه لولا العزلة العثمانية .. وكان العالم العربى منه قادرا على رده يوم صاح به جمال الدين الأفغانى قبل قرن كامل

داعيا إياه إلى النهضة لولا عملية الصرف المتعمد أو الإلهاء التى قام بها الغرب ، عن طريق الغزو الثقافى .. التبشيرية والاستشراق الذى أوجد فى بلادنا "تيار التغريب" الذى انصرف عن قضية النهضة إلى الانشغال بمشكلات وهمية . وقد كان رد الفعل الطبيعى عليه هو تيار الدفاع الإسلامى ، الذى انصرف هو أيضا عن المشكلات الأساسية للمجتمع الإسلامى فدخل معه فى متاهة لم يعد يعرف كيف يخرج منها ، ذاك ينطلق من "واقع الآخر" لا من واقعنا فيردد : الإسلام غير واقعى، وهذا ينطلق من "واقع الماضى" لا من واقع الحاضر فيجيب الواقع غير الإسلامى .. هذه المعركة الكلامية هى ما كان يريده الغرب بالضبط وأعنى بذلك أن يختلق للفكر الإسلامى دائما آلية تصرفه عن قضيته الأساسية فى التحدى .

ولقد استطاع تيار التغريب ذو الاتجاه اللبرالى العلمانى أن يلهى الفكر الإسلامى عن قضيته الأساسية زمنا ، ويحاول نفس التيار اليوم باتجاهه المسمى الاشتراكى الثورى أن يصرفه مرة أخرى عنها .. وبينما نحن

منشغلون بهذه المشكلات الوهمية كان الغرب قد نصب لنا "شركا" .. فجاء لنا بـ "تتاره" وقذف بهم فى القلب من أمتنا .. حتى إذا ما أخذنا الأمر مأخذ الجد وطرحنا آليات تيار التغريب جانبا واجهنا خطرا حقيقا آخر هو "التغريب بالقوة" أو الوجود الصهيونى اليهودى فى فلسطيننا .. والذى يمثل حضور التحدى فى أشد صوره عنفا فى الإنسان .. فنحن هنا لا نواجه ثقافة الغرب فى تيار ، بل نواجهها فى الإنسان الغربى نفسه ونواجه الحضارة الغربية الحديثة فى فكرها وأخلاقها وعلمها .. ونواجهها لا على صورة حوار سلمى بل على صورة صدام محتوم .. لأننا لا نواجهها كثقافة بل ككتلة بشرية ، كاحتلال ، وضعنا أمام احتمالين لا مفر منهما الأرض أو الحرب . والأرض تعنى هنا التراب والتاريخ والشعب.

وهكذا فان يوم ٢٥ صفر ١٣٧٨ هـ الخامس من يونيو ١٩٦٧ قد وضع أمتنا وعقيدتنا أمام قدرهما بقاء أو فناء إما أن تحيا هذه الأمة أو تموت، إما أن تستمر ثقافتنا أو تندثر .. إن الإسلام كعقيدة والعرب كشعب يواجهان مصيرهما.. والمحك هو فلسطين .

ونحن نرى أن فلسطين هى قضية الإسلام والحركة الإسلامية الاولى ، وأن مصيرها ومصيرهما مترابطان متلازمان ، ونود بهذه الدراسة أن نسهم بكشف الحجب المظلمة التى تحاط بها قضية مصيرنا والتى بلغت اليوم حدا تكاد تضيع معه معالم الحقيقة كلها .

●●●

النكبة والفكر

النكبة والفكر ذلك ما لا يتحدث عنه أحد في بلادنا مع أن النكبة في جوهرها هي نكبة الفكر العربي آخر التحليل، أو بتعبير أدق ما أسميناه الفكر العربي الحديث. فنكبتنا بأفكارنا كانت قبل نكبتنا بأرضنا .. بل كانت هي المقدمة والسبب البعيد لنكبة الأرض ..

فإذا نظرنا إلى هذا الفكر من ناحية تاريخه تبدو لنا النكبة هزيمة اتجاه.. وإذا ما نظرنا إليه في جوهره تبدو لنا هزيمة خصائص .

أما في الاتجاه فيمكن القول أن نكبة ١٩٤٨ هي هزيمة ما أسميناه الفكر الليبرالي العربي . وإعلان صارخ بخطأ الاتجاه .. ونكبة ١٩٦٧ هي هزيمة ما سمي بالفكر الاشتراكي الثوري . وهي إعلان آخر مرة أخرى بخطأ الاتجاه أيضا.. وإيذان بنهايته مهما حاول الثوريون المناورة والترقيع لستر عوراتهم .. وكلاهما هزيمة لتيار التغريب في الفكر العربي .

فالهزيمة الأولى هي نهاية لفكر ما قبل النكبتين ، والهزيمة الثانية هي نهاية لفكر ما بين النكبتين، وكلتاهما خاتمة للتجارب والأخطاء . إذا لم يعد بوسع التاريخ أن يتحمل تجاربنا وأخطاءنا أكثر من مائة سنة .. ومن حق شعبنا علينا أن نعترف له بأن كلتا الهزيمتين لم تكونا هزيمة له ، فما من أحد مثله قدم التضحيات والضحايا ، بل هزيمة لما سمي بالفكر الليبرالي العلماني والفكر الاشتراكي الثوري ، إنها ليست هزيمة شعب ولا جيش بل هزيمة هذا الفكر وقيادته السياسية .. ومن حقه علينا أن نعترف له

بنقاء الضمير الذي ينم عن حس خلقي مرهف وحس تاريخي عفوي صادق .. وأن نبين له أن القيادات الثورية اليوم هي على النقيض من هذا تماما.

إنها فاقدة للحس الخلقي والتاريخي معا .. إن هنالك تناقضا عميقا بين ضمير شعبنا الذي تمزقه المأساة، وبين واقع قياداته الفكرية والسياسية القائمة اليوم .. ومازال هذا التناقض يزداد عمقا كل يوم حتى كاد شعبنا يصبح مجموعة من المتفرجين ..

والسؤال المطروح لماذا يخطئ الفكر العربي الحديث الاتجاه ؟.. لماذا يهزم هذا الفكر دائما؟ لماذا يؤدي بنا الى النكبات ؟.. هنا تنكشف لنا حقيقة أخرى أعمق من تلك ، أعني أن الفكر العربي الحديث لم يكن له اتجاه أصلا .. ذلك أمر ينبغي الاعتراف به وعدم المكابرة فيه إذ لكي يكون للحديث عن الاتجاه مغزى لابد من معرفة الأهداف أولا .

والفكر العربي الحديث قد عجز عجزا واضحا عن تحديد غاياته وتحديد وسائله ، ومن الخطأ أن يخيل إلينا أننا عرفنا أهدافنا ، وجهلنا فقط وسائلنا لأننا لا نقول عن فكر يجهل وسائله أنه اكتشف غاياته إلا إذا تجاهلنا العلاقة الجدلية القائمة بينهما فعلا .

ليس هذا فحسب ، بل إن السؤال عن الاتجاه

لم يطرحه الفكر العربى الحديث أصلا، لأنه هو نفسه لم ينطلق من واقعه ومن ظروفه .. لم يعرف نفسه ولا أين يقف فى تيار التاريخ .. وإنما انطلق من التعلق بواقع آخر سواء أكان (ماضى الأنا) أو (حاضر الآخر) . فإذا تساءلنا لماذا ؟..

كان لابد لنا من أن نلتمس الإجابة فى خصائص هذا الفكر .. ومن هنا تبدو لنا النكبة هى نكبة الفكر العربى الحديث .. والهزيمة هزيمة فكر ، لا يفكر بمفاهيم .. ولا يفكر بدقة .. فكر غير نقدى .. وغير واقعى .. وغير عملى ..

فكر يجهل فن التأمل .. وفن التساؤل . وفن الحوار .. وفن النقد .. وكذلك أو على الأصح لذلك فهو يجهل فن التركيب .. فكر ساكن .. لا يتجدد ولا يُجدد .. لا يحيا ولا يموت .. فكر نتحدث عنه مجازا لانه وبكل حق ليس حقيقة .. لعله فى طور التكوين . أما أنه كائن متميز له خصائصه فهذا ما لا وجود له : فكر لا هو مع الفكر الإسلامى إن قارناه بماضيه .. رغم أنه استمرار تاريخى له .. ولا هو مع الفكر الغربى الحديث إذا قارناه بالآخر، رغم أنه يتداول ألفاظه ومصطلحاته .. ورغم أنا أعرناه لفظة الحديث والتحديثية .

هزيمتنا هى إذا هزيمة فكر ، لأن أزمتنا هى أزمة فكر . جوهرها عجز هذا الفكر عن رد تحدى الفكر الغربى الحديث ، لأنه عجز عن إدراك جوهر الأزمة، لتجاوزها. والنكبة هى التجسيد الواقعى لهذه الهزيمة ، ودليل على أن الأزمة ما تزال قائمة .

كما أن الوجود الصهيونى اليهودى فى فلسطيننا هو تجسيد للتحدى الغربى الحديث ودليل على أنه ما يزال قائما. فإذا نظرنا إلى التحدى ككل أمكن أن نعتبر ظاهرة الثقافة الليبرالية العلمانية فى مجموعها ، محاولة لإضعاف التحدى لا رداً عليه. وظاهرة الاشتراكية الثورية اليوم ، محاولة لإلغاء التحدى من أساسه ..

ورد الفعل الطبيعى على التحدى كامن فى تيار الدفاع الإسلامى ، الذى مهما قسونا عليه فى النقد اليوم ، فإنه من ناحية دوره التاريخى قد أدى مهمة إرجاع التوازن النفسى للمجتمع الإسلامى وللمسلم المثقف على السواء .. كذلك فإن إنتاجه لا يخلو من بعض محاولات أصيلة .

ولكن إذا كنا لا نملك اتجاها فإلى أين نحن نسير ؟.. أنا لا أعرف ولا يمكن أن أتصور أن أحدا يعرف . وأنا لا أسمى هذا سيرا .. لأن السير يعنى وجود هدف يتابع خطوات منتظمة، أما نحن فنتخبط .. وأما غيرنا .. خصمنا .. فلا يسير فقط بل يسيرنا أيضا شئنا ذلك أم أبينا ..

وسؤال آخر ماذا نعمل نحن إذا ؟.. والجواب إننا لا نعمل .. نحن نتحرك .. ذلك أن العمل يعنى الجهد الاجتماعى المنظم المستمر فى وقت معين لتحقيق هدف محدد .. أما بدون ذلك فتلك هى الحركة . كحركة النجوم فى مداراتها.. والفرق أن تلك تخضع لقانون الحتمية الطبيعية التى تضبط حركتها. أما

نحن فكالأرانب فى المتاهة .. كلما داهمنا خطر دفعتنا غريزة البقاء إلى أية حركة عشوائية، فى أى اتجاه .. نطلب النجاة .. والذين يعرفوننا يعلمون ذلك ويشرفون على متاهتنا بكل عناية ويعدلونها حسبما يقتضيه إجراء تجاربهم . ثم نتحدث بعد ذلك عن أنفسنا كما لو كنا أحرارا ..

وأنا أعرف أن كثيرا من الثرثارين فى بلادنا سيقولون وهل عندنا من الوقت للتساؤل عن الاتجاه .. أى هل عندنا وقت لنفكر ؟.. إن علينا أن نعمل .. هؤلاء هم اللعنة التى ابتليت بها هذه الأمة .. ويرددون : ليس المهم هو البحث .. المهم هو التطبيق .. خرافة أخرى من خرافاتنا التى لم نصرعها..

كيف يمكن أن نعمل ما لم ننظر فيه ؟.. كيف يمكن أن نطبق ما لم نبحثه أصلا؟.. هؤلاء ليسوا فى الحقيقة أعداء النظر فحسب بل هم أعداء العمل الحقيقى، وأعداؤنا الحقيقيون ، وأعداء الحقيقة أيضا.

إن الامم الحية تنظر - أى تفكر بما ستعمله بعد خمسين سنة أو مائة سنة .. أما هم فقد سرقوا من عمر أمتنا عشرات السنين لم يفكروا فيها ولم يعملوا ..

لقد كنا قبل نكبة ١٩٤٨ ندور فى متاهة سياسة لا دماغ لها .. لأن السياسى قد تجاوز المفكر بحيث أصبحت السياسة تهريجا ، والسياسى حاويا ..أما بعد ١٩٤٨ فقد أصبحنا ندور فى متاهة أكبر أسموها زورا وبهتانا ثورة .. ثورة لا دماغ لها ولا سياسة لأن العسكرى تجاوز السياسى والمفكر معا

فأصبحت الثورة ضربا من الصراع النيرونى.. كان لابد من أن ننتظر وراءه النكبة الثانية .

هل من مخرج ؟..

نعم : أن ننفض أيدينا من كل ما قبل النكبتين إلى الأبد .. أن تسقط عالم الأفكار الذى أدى إلى النكبتين .. الأفكار المميتة .. القاتلة .. المؤدية حتما إلى الفناء المحقق .. وأن نستبدلها بأفكار حية .. باعثة ...محركة بناءة .. تحفظ لنا البقاء.. وتردنا إلى طريق النهضة .

إن دولة المخابرات لم تسقط يوم ٥ يونيو ولن تسقط أبدا ما لم يسقط عالم الأفكار الذى أقامها .. والذى قبلها .. والذى حماها .. ومن هنا تأتى مسئولية مفكر ما بعد النكبتين ، الذى أصبح من واجبه أن يتحرر من عقدة الخوف من السياسى ومن العسكرى معا .. فيصبح التزامه الأخلاقى هو الأساس لمواقفه الفكرية .. لا للاتجاهات السياسية المتقلبة . إذ لا يمكن أن نهزم خرافة خصمنا إلا إذا هزمنا خرافاتنا ، ولا يمكن أن نصرع باطله إلا إذا صرعنا باطلنا.. ولا يمكن أن نصرع الباطل إلا إذا كنا نعيش للحق .. والصراع من أجل الحقيقة كأى صراع يحتاج إلى شجاعة .. وقول الحق يحتاج إلى شجاعة وقول الحق يحتاج إلى الجرأة .. والفكرة

العظيمة لا يحملها إلا العظماء.. أما إذا كنا نصرع الحقيقة كل يوم فى أرضنا فكيف يمكن أن نكون جديرين بنصرتها ضد عدونا . إذا كنا نقلب الحق باطلا والباطل حقا فكيف يمكن أن نحتفظ بملكة التمييز .. إن المفكر الذى يتنازل عن أخلاق المعرفة وعن جرأة قول الحق يصبح ذيلا للسياسى .. يتجاوزه ويزدريه ويتجاوز معه الحقيقة والواقع .. وبذلك يضحى بأهداف شعبنا وآلامه باسم شعبنا وآلامه .

إن المفكر الذى يلحق السياسى ليس إلا ثرثارا .. يحمل قلما.. وفى يده ورقة .. وله لسان يلوك ألفاظا.. كذلك فإن السياسى الذى يتجاوز المفكر ليس إلا مهرجا ، لابد إذن من تحرير الفكر من قبضة العسكرى .. وعبث السياسى .. لا بد أن نفكر برءوسنا لا ببنادقنا.

نحن إذن بحاجة إلى المفكر الذى يفكر بالنكبتين .. ويفكر للمنكوبين .. بحاجة إلى المفكر المنكوب .

هذا هو مفكر ما بعد النكبتين وعلى طريقه يجب أن يسير أديب ما بعد النكبتين .. وعالم ما بعد النكبتين وجيل ما بعد النكبتين.

التجارب والأخطاء

مع ميلاد كل مأساة تشهد ميلاد حقيقة، فإذا كانت المأساة مأساة فرد فإن المرء يكتشف حقيقة من حقائق الحياة !.. أما حينما تكون المأساة مأساة أمة فان الذى ينكشف لها هو حقائق التاريخ .

ولمأساتنا اليوم جانبان جانب فردى دارت فصوله على شواطئ نهر الاردن ، نهر الدموع والدماء ، نهر الآلام، نهر الاحزان .. أو على رمال سيناء صحراء الظمأ والجوع والعذاب ، صحراء الكبرياء الجريحة والكرامة المتهنة والإباء المغلوب على أمره. أشخاص هذه المأساة طفل رضيع فرت به أمه من وجه الغزاة الأوروبيين فابتلعها النهر وإياه ، أو شيخ هرم أكلت وجهه ويديه وعينيه نار النابالم إحدى ثمار الضمير الأوروبى، أو أهل قرية أبرياء ذبحهم أبناء الروم كلهم مرة بسكين المسيح وأخرى بسكين يهوذا .

هذا الجانب من المأساة الذى وقف فيه آباؤنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا أمام تحدى البقاء يدفعون عن حقهم الأعزل فى الحياة برابرة الفرنجة الجدد لابد وأن ينتهى بالاحتقار لفكر أوروبا وضميرها وأخلاقها .

هذا الجانب من المأساة وتاريخ جراحنا فيها نتركه للفن والأدب كى يعبر عنه نلتفت نحن إلى الجانب الآخر الذى وضع أمتنا أمام أقدارها حيث لا يتكلم التاريخ لغة الشعر ولا ينهج نهج الفن .. بل يتحول التاريخ إلى جغرافية يتكلم بلغة الأرض وينهج نهج سياسة القوة .

فى مأساة الفرد ينكشف للإنسان مغزى جديد للحياة أو الوجود أما فى مأساة الأمة فتنكشف لها حقائق تاريخها ، وشروط ميلادها وبقائها ، وقواعد المنطق الصارم لوجودها واستمرارها وذلك حين يضع التاريخ

الأمة وجها لوجه أمام أقدارها فى حلبة الصراع الأبدى ، صراع الأمم .

فتاريخ أمة ما هو دوما زمان وصيرورة إلا حين تلد المأساة أمة عندئذ يجمد التاريخ ويستحيل إلى واقع صخرى إلى "مكان" إلى "أرض" ، إلى "وطن".. وتتوقف أنفاس الحياة فتشهق الأمة شهقة واحدة هى الشهقة الأولى لميلادها ، فإما أن تعيش بعد ذلك ملء الحياة وإما أن تطوى صفحتها إلى الأبد. هذه الشهقة هى وخزة الماضى لأمة فقدت "ذاكرتها" فإما أن تصحو بعدها فتعى شروط وجودها واستمرارها كأمة وكثقافة فتملك إرادتها وتعرف كيف تتحكم فى التاريخ وتصنع المستقبل وإما أن تصاب باليأس الذى هو شلل للفكر والإرادة معا .

ونحن نكتب هذه الكلمات لاننا نريد لشبابنا أن يعى ، لأننا نريد لأمتنا أن تبقى ولثقافتنا أن تستمر.. ولأننا نريد لشبابنا أن يملك إرادته، لأننا نريد لأمتنا أن تعيد صنع التاريخ وأن يكون المستقبل لها.

وتمتاز المأساة بأنها المعيار العملى الوحيد لليقين التاريخى الذى يمكن أن يقدمه البحث العلمى للتاريخ .. فالحقائق الثابتة فى تاريخ الأمة يمكن أن يقدمها علم التاريخ معللة تعليلا يتفق ومنطق البحث التاريخى ومنهجه وأسلوبه .. ولكن كل هذا يظل معرفة معللة وتظل الموضوعية لدى المؤرخ ضربا من التفسير .. أما المأساة فهى وحدها التى تضع هذه المعرفة فى محك التجربة فتكشف بذلك عن قيمتها العملية ، أى عن القيمة التاريخية

الحقيقية للأفكار التى استندت إليها تفسيرات المؤرخين ، فتمدنا على هذا النحو باليقين التاريخى الذى لا يرد.

إن "صناعة" التاريخ تظل ضربا من المحاولة لمعرفة "ما وقع فعلا" فى ماضى أمة من الأمم .. و"تفسير" التاريخ يظل ضربا من محاولة "فهم" هذا الذى وقع .. وكل محاولة فى الفهم تظل ضربا من فلسفة التاريخ يخضع "لناقده المؤرخ" حتى تجئ النكبة معيارا لا يخطئ فتطرح التفسيرات المتوهمة .. وتبقى على "التفسير الصحيح" تطرح السفسطة جانبا وتبقى على "الحقيقة" وحدها عارية معراة .. فيذهب "الزبد" جفاء ويبقى "ما ينفع الناس" ماكثا فى الأرض .. أرض الواقع، واقع النكبة ماثلا أمام أسماعهم وأبصارهم وبصائرهم ..

فما هى هذه الحقيقة التى تمخضت عنها النكبتان ؟..

الجواب إن الإسلام والاسلام وحده كدين وحضارة هو الشرط الوحيد لبقائنا واستمرارنا كأمة وثقافة فى وجه التحدى الغربى الحديث السياسى والثقافى منه على السواء .

هذه الحقيقة التى حاولنا قرنا كاملا . . منذ مطلع القرن التاسع عشر .. تجاهلها أو إنكارها أو اللف والدوران حولها قد ردنا التاريخ إليها مرتين من خلال مأساة فلسطين

المرة الأولى فى نكبة ١٩٤٨ التى أثبتت فشل "اللبرالية العربية" وفى نفس الوقت نهايتها بحيث لم تمض إلا سنوات قليلة حتى انهارت معظم أنظمتها السياسية .. وقد رافقت فشلها خيبة أمل مريرة لدى اللبراليين العرب فى قيم اللبرالية الأوروبية كذلك جاءت النكبة الثانية ١٩٦٧ لتفجر أزمة ما سمى "الاشتراكية العربية" - رغم قصر عمرها ..... (٢) - وتسجيل فى نفس الوقت نهايتها ، بحيث لن يمضى وقت طويل حتى تتهاوى أنظمتها الثورية الواحد بعد الآخر.

وقد رافقتها أيضا خيبة أمل لدى الاشتراكيين العرب باستثناء الشيوعيين - فى قيم الاشتراكية الأوربية .... (٣)

وكما كان حكم الانفصال فى سورية آخر محاولة يائسة من اللبرالية العربية لإنقاذ نظامها، كذلك لابد للاشتراكية العربية من تجربة يائسة .... (٤) لإنقاذ نظامها.. تجربة لم يبد بعد أية ملامح واضحة لها إذ مازال كل شئ من هول النكبة فى حالة سيولة لم يتبلور منها شئ إلا موقف الشيوعيين العرب .. ومن هنا فإن التجربة المقبلة تجربة خطيرة لأنها قد تدفعنا إلى الماركسية وهو ما يريده الشيوعيون أو تردنا إلى الإسلام وهو ما يتوقع من مصر (كنانة الله).

عل أن "الانفصال " بحد ذاته كان دليلا ساطعا على "نهاية خطأ قديم وبداية خطأ جديد" وكما كان تغيير الأوضاع والثورة عليها أمرا حتميا بعد ١٩٤٨ فان "تغيير الأوضاع" اليوم والثورة عليها هو أيضا ضرورى وحتمى وبنفس القوة والشدة .

إن النكبة الأولى التى انهارت على أثرها الأوضاع الديمقراطية الزائفة لأنها فقدت "مبررات وجودها" وانهارت معها الثقافة التى تحميها ، لابد وأن تكرر دورتها اليوم مع النظم الثورية واليسار العربى اللذين فقدا أيضا مبررات وجودهما ، وإذا كان "سقوط الأوضاع" عقب النكبة الأولى مقدمة لـ"تغيير الأفكار" فإن "سقوط الأفكار" اليوم هو المقدمة لتغيير الأوضاع ....(٥) . بعبارة أخرى إن ما يسمى باليسار العربى - هو يسار لا يعرف اليمين من اليسار على حد تعبير أحد كتابه - قد انتهى وعبثا يحاول أن يقاوم نهايته .. إن بإمكانه أن يخلع القشرة القومية الرقيقة المتبقية فيصبح ماركسيا خالصا .. سوفيتيا أو ماويا .. وأن يخلع عنه معها زيف الولاء الوطنى فيدخل فى إطار الشيوعية العالمية علنا .. سواء فى اتجاهها الروسى وهو ما فعله الشيوعيون العرب الذين سموا أنفسهم بـ "اليسار الثورى" أو فى الاتجاه الصينى الذى يعتقد بعض الاشتراكيين القوميين أن سيرهم فيه سيكون علامة "تميز" لهم عن الشيوعيين الرسميين .. وكلاهما لن يكون سببا فى إنقاذه بل فى التعجيل بنهايته .

وكما نبهت النكبة الأولى العرب على الخطر الذى يهدد وجودهم كشعب ففتحت عيونهم على حتمية "الوحدة العربية" فإن هذه النكبة الثانية تنبههم اليوم على الخطر الذى يهدد استمرارهم التاريخى كثقافة وتفتح عيونهم

على حتمية "الحل الإسلامى".

وأن كل مكابرة أمام حتمية هذا الحل لن تكون أكثر من"عائق" مؤقت قد يؤخر الحل مرة أخرى ولكنه لا يستطيع استبداله.

لقد كان هذا الخطأ الجوهرى هو الذى أخر حركة التقدم فى نهضتنا الحديثة بالمقارنة بنهضة اليابان الحديثة .. لقد أنهكت أمتنا وأهدرت طاقاتها وشتتت قواها فى محاولات ايجاد "بديل" عن "الإسلام" بأيديولوجيات أخرى سواء التمست لدى الفكر اللبرالى الأوروبى منذ القرن الماضى وحتى منتصف هذا القرن أول لدى الفكر الاشتراكى الأوروبى منذ الأربعينات إلى اليوم .. وقد فرضت هذه المحاولات نفسها إما فى ظل النظام الاستعمارى المسيطر وحمايته فى طور الثورة الوطنية على الاستعمار أو بقوة الإرهاب البوليسى فى ظل النظم الثورية العسكرية - فى طور الثورة الاجتماعية على التخلف.

وجاءت النكبة الأخيرة لتثبت على نحو قاطع بأن كل محاولة للتعويق هى محاولة للتأخير لا أكثر ولا أقل .. وكما كشفت النكبة الأولى للعرب جميعا عن "المضمون العربى" و"الأبعاد العربية" لقضيتنا فلسطين وأبطلت أسطورة الكيانات القائمة على فكرة "الوطنية المحلية" أو "الإقليمية" التى تكرس واقع التجزئة .. كذلك فقد كشفت هذه النكبة الثانية للمسلمين جميعا عن "المضمون الإسلامى" و"الأبعاد الإسلامية" لقضيتنا فلسطين فأبطلت بذلك أسطورة "الانغلاق القومى" و"العلمانية " معا وأثبتت بما لا يقبل

الشك أن مصير المسلمين السياسى .. مصير العالم الإسلامى مرتبط بمصير العرب السياسى . مصير العالم العربى . وأن مصيرهم الثقافى مرتبط بمصير الثقافة الإسلامية وأن مستقبلهم جميعا كأمة ذات رسالة وكثقافة ذات أصالة مرتبط بمستقبل الإسلام.

إن وحدة العقيدة ووحدة التاريخ ووحدة دار الإسلام وكذلك وحدة المشكلة تفرض "وحدة المصير".. لقد كشفت النكبة الأولى "وحدة المصير العربى" وكشفت الثانية "وحدة المصير الإسلامى ".

إن وحدة المصير تفرض وحدة الهدف ووحدة البرنامج ووحدة العمل ، وهذا يعنى وحدة الحركة الإسلامية.

لقد أثبتت النكبتان أن الوجود اليهودى الصهيونى هو صورة التحدى الغربى للإسلام كأمة وكثقافة وقد كان الإسلام وسيظل قادرا على رد التحدى.

على أن هناك عدة أمور جديرة بالملاحظة :

أولها : إن فشل اللبرالية والاشتراكية ونظمهما فى العالم العربى لم يكن بنفس الشدة فى جميع أجزاء الوطن العربى فما تزال هناك بعض الأوضاع اللبرالية الزائفة تحاول تجنب النهاية المحتومة عن طريق "التلاؤم السريع" مع الظروف الجديدة. وهناك أوضاع

تقليدية مشوهة يناقض مجرد استمرارها طبائع الأشياء.. وهناك أقطار انبثقت منها حركة البعث والنهضة ولكنها رغم جميع التجارب .. ما تزال مترددة تجاه الاختيار الكامل للحل الإسلامي .. وقد استنتج الكثيرون من سدنة هذه الأوضاع وبصورة اوتوماتيكية أن مجرد فشل ما سُمي بالنظم الثورية يعني انتصار نظمها وثباتها هي أو صحة اتجاهها وهذا خطأ فادح .. فلئن أثبتت النكبة الأخيرة فشل ما سُمي بالنظم الثورية فإن النكبة الاولى قد أثبتت فشل النظم الديمقراطية الزائفة التي قامت هذه الأخيرة على أنقاضها .. وإذا كان سقوطها قد تأخر فلأسباب خاصة بكل واحدة منها.. ومعنى النكبتين كليهما هو هذا إما الحل الإسلامي أو "السقوط" ذلك هو قدرهما المشترك اليوم .

ثانيهما : إن فشل اللبرالية والاشتراكية في العالم العربي ليس أمرا مقتصرا عليه وحده .. وهو لا يعني أنهما نجحتا أو أن هناك فرصة لنجاحهما في بلد إسلامي آخر .. فهذه المغالطة لا يمكن ردها نظريا فحسب على أساس وحدة الحضارة ووحدة الصياغة التاريخية لهذه المجتمعات وبالتالي وحدة المشكلة ووحدة التحدي الغربي ، بل ومن التأمل في الأوضاع السياسية والتيارات الثقافية في بقية أقطار العالم الإسلامي في نشوئها وخط تطورها في طور الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية على السواء.. وإذا كانت أزمتها لم تنفجر على صورة التغيرات التي حدثت في العالم العربي والتي كانت أشبه بفصول درامية مذهلة لمأساة تاريخية فريدة .. فإن السبب لا يرجع إلى أنها لا تعاني أزمة حادة أو أن أزمتها لم تنفجر بصورة أو أخرى .... (٦) بل يرجع لأن قضيتنا فلسطين لا يمكن أن تقارن بأية مشكلة إسلامية أخرى .

فالوجود اليهودي الصهيوني في فلسطيننا قلب العالم العربي الذي هو قلب العالم الإسلامي ونواته المغناطيسية هو وحده الذي يفسر ذلك .. إن هذا الوجود يمثل أوج التحدي الغربي السياسي والثقافي للعالم الإسلامي والحضارة الإسلامية .. فمكانة فلسطيننا من العالم العربي ومكانة العالم العربي من العالم الإسلامي وطبيعة التحدي وشدته وعنفه هو الذي عجل حركة الأحداث في الوطن العربي وهو في نفس الوقت السبب الرئيسي الذي يجعل حقنا بفلسطين لا حقوقنا في فلسطين .. مجرد قضية إسلامية فحسب بل قضية المسلمين والإسلام الأولى في العصر الحديث ...(٧) ، فنحن حين نتحدث عن حتمية الحل الإسلامي فإننا نعني المجتمع الإسلامي كله وتجربة العالم العربي في خطوطها العريضة ليست الا "نموذجا" فحسب لما يحدث في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ....(٨) مع بعض الفروق التي يمكن تعليلها بأسباب محلية أوردها إلى نوع التحدي وعمق التجربة في كل منها .

ثالثهما : إن فشل تجربة اللبرالية العربية وديمقراطياتها وفشل تجربة الاشتراكية العربية ونظمها الثورية وما يوازي ذلك في أكثر بلدان

العالم الإسلامى .. لا يعطينا بحال من الأحوال الحق فى الحكم سلبا أو إيجابا على اللبرالية أو الاشتراكية الأوروبيتين أو على الدور التاريخى الذى لعبته اللبرالية فى القرن الماضى فى مجتمع غرب أوروبا خاصة ، أو الدور الثانى الذى لعبته الاشتراكية فى مجتمع شرقى أوروبا وروسيا خاصة فى هذا القرن .. وبالتالى فإن فشلهما لا يعنى بطلان ربط حركة التحرر القومى أو الحرية الاقتصادية أو الديمقراطية أو التقدم العلمى والصناعى الذى ساد مجتمع أوروبا الغربية فى القرن الماضى باللبرالية .. سياسية كانت أم اقتصادية أم تربوية .. ولا يعنى أيضا بطلان ربط الماركسية اللينينية كأحد تيارات الاشتراكية الأوروبية بالتقدم الاجتماعى القائم على التقدم العلمى والصناعى فى مجتمع شرق أوروبا وروسيا منه بوجه خاص كمحاولة لاستدراك تطورات الجناح الشرقى من أوروبا بالقياس لجناحها الغربى وهذا هو مغزى الثورة الروسية ١٩١٧ كله .

ولا يعنى أننا سنغلق باب الحوار مع الغرب أو أننا سنقطع الطريق على ضوء هاتين التجربتين الفاشلتين أمام محاولة فهم علمى دقيق وتقييم موضوعى صحيح لهاتين التجربتين الأوربيتين الهامتين لمجتمع صناعى نحن مقبلون عليه بالضرورة .

بل يعنى : فشل "التقليد" فى تجاوز "أزمة الحضارة الإسلامية" وضرورة "التركيب المبدع" القائم على "الوعى التاريخى" لـ"قيم التراث" وعلى إدراك علمى واقعى لمشكلة هذه الحضارة التى تشكل جوهر التحدى الحديث .

ويعنى : فشل "الشكلية" فى مواجهة مشكلة هذه الحضارة الأساسية التى هى فى نفس الوقت جوهر أزمتها ألا وهى "مشكلة التخلف" الناجم عن عدم مواكبة حركة التقدم العلمى والصناعى الأوروبيين الحديثين وعقلانية التنظيم الاجتماعى المقترنة بهما .

ويعنى أخيرا : القضاء على جميع السلبيات لدى الفرد ولدى المجتمع التى كانت تعيق حركة النهضة أو البعث الإسلامى سواء فى جانبها السياسى المتمثل بالثورة على الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطنى، أو فى جانبها الاجتماعى الممثل بالثورة على التخلف وتحقيق التقدم الاجتماعى بحيث غدا بالإمكان اليوم فتح باب حوار متكافئ مع الثقافة الغربية تدرس فيه ظاهرة الرأسمالية وظاهرة الماركسية دراسة نقدية تستند إلى الدراسات الأوربية المعاصرة من جهة وتخضع لمعايير صارمة مستمدة من تراثنا الإسلامى من جهة أخرى : لقد أصبح بإمكاننا نحن شباب الجيل الإسلامى المثقف المعاصر أن نشق طريقنا

لمستقبل نصنعه بأيدينا ونصنعه نحن وحدنا ونصنعـه نحن كلنا .. رائدنا إيمـان أساسـه المعرفة وعمل أساسه العلم ومسئولية أساسها الوعى السياسى لواقع عصرنا والالتزام الخلقى بمعايير إسلامنا ولقد تم القضاء على هذه السلبيات من خلال عمليتى التصفية التاليتين اللتين تعتبران نتيجتين مباشرتين لفشل تلك التجربتين .

أولاهما : عملية تصفية نفسية لدى الفرد حررت المثقف المسلم من "عقدة النقص" تجاه الثقافة الغربية الحديثة فى صورتيها المتقابلتين اللتين واجههما فى احتكاكه الجديد مع الغرب فى صورتى الفكر اللبرالى والفكر الاشتراكى بحيث جعلت تجاوزهما اليوم أمرا ممكنا .. فهى إذا أزالت العوائق النفسية من أمامه فتحت الطريق له أمام محاولة تركيب مبدع وقد بدأت عملية التصفية النفسية هذه فى شخصية الإمام محمد عبده ورجال المدرسة السلفية من بعده ومن تابعهم .. وما يوازى ذلك فى البلاد الإسلامية الأخرى . وذلك كتيار ثقافى دفاعى يتحدى دعاوى اللبرالية العربية ثم كحركة اجتماعية فى الحركة الإسلامية فى مصر التى انطلقت من الجامعات الحديثة ومن المصانع والحقول تتحدى واقع اللبرالية المصرية ونظامها السياسى والاقتصادى حتى الأربعينات .. وكإصرار على الحل الإسلامى طوال تجارب الحكم المصرى خلال الخمسينيات وكأول صورة للتحدى الإسلامى لما سمى بالاشتراكية العربية فى الستينيات خاصة ، والذى تجاوز حدود تنظيم معين ليصبح تيارا إسلاميا شاملا ما يزال تحديده قائما إلى اليوم. وأنه ما من أحد يمثل انتهاء عملية التصفية النفسية وصفاء الشخصية الإسلامية المستعلية بالإسلام على كل ما سواه مثل شخصية الشهيد المصرى سيد قطب ... (٩)

وما من أحد يمثل أولى محاولات التركيب المبدع مثل المفكر الجزائرى مالك بن نبى .. وإذا كان موقف الشهيد هو "الشرط النفسى" الضرورة لإمكانية إجراء عملية التركيب ألا وهو "التميز" .. أو اكتشاف الذات ، فإن موقف المفكر الجزائرى مالك بن نبى يمثل "الشرط الموضوعى" لكيفية إجراء تلك العملية ألا وهو "وعى المشكلة الاجتماعية" ووضعها وضعا صحيحا وبحثها بحثا تفصيليا .. وإذا كان الأول قد ألح على جانب العقيدة فى تربية الجيل القرآنى الفريد .. كما أسماه .. فلعلمه بأن شعلة الإيمان هى الأساس فى تجاوز الأزمة ، لأنه هو وحده الذى يجعل منها قضية .. فحركة النهضة الإسلامية الحقيقية لا يمكن أن تبدأ إلا ببعث الروح الإسلامى وبميلاد الإنسان المسلم ميلادا جديداً يعبر عنه بالحكم الشخصى التالى: إننى لا أرى من حولى إلا هشيما لذلك لابد من أن يتغير كل شئ .. هذا التغيير النفسى فى الفرد هو أساس التغيير الاجتماعى. بعبارة أخرى ما لم "اتجدد" أنا فلن استطيع أن "اجدد" شيئا ، وما لم "نتجدد" نحن فلن نستطيع "تجديد" المجتمع لأن كل تغيير لابد وان يبدأ من الإنسان .

وهذا هو عين ما فهمه مالك بن نبى من

الآية الكريمة ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .. وهو المغزى الحقيقى لمفهومه عن "القابلية للاستعمار" ثم راح مالك بن نبى - من خلال مفهومه عن الحضارة .. يبرز أهمية جانب التكنيك الاجتماعى -Sosial technigue من المشكلة ويلح عليه. لكننا لا نعتقد أن صاحب "الظاهرة القرآنية" قد حصرها فى هذا الجانب وحده.. وفى الحقيقة أن كلا منهما يعكس تجربة مجتمعة فيلح على أحد الجانبين دون الآخر ولذا فنحن نعتبرهما مكملين متممين رغم أن المرء لا يمكن أن يشك أبدا فى "الشرط النفسى" وهو موقف الشهيد، وإن كان من الممكن أن يقف موقفا نقديا من كيفية تحقيق هذا الشرط. ولعل كلا الرجلين يعكس جناح المشرق والمغرب فى لقاء فهم موحد لمهمة الحركة الاسلامية، هى أحوج ما تكون إليه فى مرحلتها المعاصرة .

ثانيهما : عملية تصفية نفسية تاريخية فى المجتمع الإسلامى حررته - إلى حد بعيد - من "القابلية للاستعمار" الغربى بشقيه فجعلت المذاهب الاجتماعية اللبرالية والاشتراكية وأنظمتها السياسية البرلمانية والثورية موضع نقد شديد بحيث غدا تجاوزهما اليوم وإيجاد "صيغة سياسية إسلامية جديدة" تحدد معالم نظامنا الإسلامى السياسى تحديدا كاملا أمرا ممكنا وواجبا .

وقد بدأت هذه التصفية التاريخية فى الثورات الوطنية التى فجرها جمال الدين الأفغانى ومدرسته والتى قادت نضالها الشعوب المسلمة فى سنوات ما بعد الحرب

العالمية الأولى ابتداء من ثورة الريف فى المغرب إلى ثورة جاوا فى القطب الآخر لمحور العالم الإسلامى والتى توجتها دونما شك ثورة الجزائر الأخيرة التى لم تدرس بعد كظاهرة مستقلة لتجربة الإسلام التاريخية هناك بقدر ما درست .. من الأوربيين غالبا .. فى محاولات لاستيعابها بضمن تفسير معين مسبق ..(١٠) ، إن كلتا التصفيتين قد فتح أمامنا الإمكانية لمحاولة "تركيب مبدع" فى الثقافة يكون أساس بعث إسلامى حقيقى أصيل يحررنا من السكونية و"فوضى المفاهيم" على صعيد الفكر النظرى ، ومن "الميوعة" أو "الجمود" فى معايير المنطق العملى لقيمنا الأخلاقية والجمالية ، ليكون ذلك أساس تربية إسلامية حديثة سوية للفرد وأساس ثقافة إسلامية منفتحة للمجتمع بحيث يغدو بناء شبكة علاقات اجتماعية سليمة أمرا ممكنا بعدما خربنا وخربت التجارب كل شئ. وسيكون ذلك ممكنا بقدر ما ندرك ونعى "مغزى" تلك التجربتين .. اللبرالية والاشتراكية فى تاريخ نهضتنا الحديثة وبقدر ما نتجنب الأخطاء الأساسية التى كانت سبب أزمتهما وفشلهما معا .

وهذا ما سوف نشرحه فى العدد القادم إن شاء الله ...

الهوامش

١ - الموافق ٥ يونيو ١٩٦٧

٢ - إن الوجود الصهيوني في فلسطين والاستقلال السياسي والنظم العسكرية التي ارتبطت بها الاشتراكية الثورية هي التي جعلت عمر التجربة قصيرا بالقياس لتجربة اللبرالية التي تختلف بطبيعتها وطبيعة أنظمتها وغياب الوجود الصهيوني كخطر ماثل عن هذه .

٣ - يكفي للدلالة على خيبة أمل الاشتراكيين العرب موقف سارتر واليسار الأوروبي عامة ولعل الدكتور سهيل إدريس أصدق مثال على خيبة الأمل هذه فقد مكث يفتح أبواب مجلته "الآداب" في بيروت سنين طويلة لترويج أفكار سارتر وقام بترجمة جل أعماله ثم كانت الخاتمة الرسالة المفتوحة التي وجهها إليه إثر النكبة الأخيرة .

٤ - ليس أدل على حالة اليأس من التمسك بثورة فقدت كل مبرراتها وبفرد أدى كل دوره . ما أعجب نظرية التكتيك عند الشيوعيين عندما تصبح - كما قال كاسترو - كأنها ضرب من الابتهال وإلا فأي منطق يقبل بـ "الحفاظ على الأوضاع" إلا منطق الجمود .

٥ - يقول الدكتور برهان الدجاني في ندوة عقدها بضعة من المثقفين وطائفة من الثوريين .. في دمشق ما بين ٤ -٧ نوفمبر١٩٦٧ كلمة حق "أيها الاخوة في مجال نقد الذات أريد أن أتساءل من الذي هزم في ٥ يونيو أقول لكم بإخلاص وتجرد إن الذي هُزم هو نحن الجالسون هنا. وسأشرح لكم هذا :

في عام ١٩٤٨ كان من السهل علينا أن نقول : هي الأسلحة الفاسدة .. البلاط الفاسد .. كلوب باشا .. الرجعية .. هي كل شئ ما عدانا نحن ، وكنا نتساءل ، وكيف يصلح الحال ؟. . وكان الجواب في قرارة نفوسنا عندما نصل إلى مراكز السلطة في المجتمع العربي ، ولقد كنا قبل ٥ يونيو في مراكز السلطة في المجتمع العربي .. فنحن إذن الذين هزمنا ويجب أن نقر بمسئولية الهزيمة، يجب أن نراجع أخطاءنا ، يجب أن نسأل أنفسنا لماذا هُزمنا ؟.. ولماذا هُزمت الأمة العربية بقيادتنا الفكرية ؟.." (مجلةالمعرفة، السنة السادسة ، العدد ٧١ ، يناير١٩٦٨ ، صفحة ١٩٨ - ١٩٩) .

هذه الكلمة الجريئة يسميها الشيوعي أحمد عباس صالح - رئيس تحرير مجلة الكاتب المصرية التي كان يلتف حولها وحول أختها الطليعة شيوعيو مصر - كلمة مظلمة .. متهربا من السؤال الذي طرحه الدكتور الدجاني لأن الإجابة عليه تعني حسب نفس المنطق الذي برر الثأر لنكبة ١٩٤٨ الثأر لهذه النكبة أيضا ، أي "حتمية التغيير". وكان أول شعار رفعه شيوعيو مصر عقب النكبة الأخيرة هو "لا تغيير". والإجابة تعني: ثورة حقيقية على هذه القيادات الفوضوية المهزومة، وكان أول عدد أصدره أحمد عباس صالح من مجلته عقب النكبة مباشرة، هو عدد خاص لا بالنكبة بل بالثورة وتحت عنوان "الثورة مستمرة".. وسُميت النكبة "أحداث ٥ يونيو".. وسُميت المظاهرات التي نظمت سرا " انتفاضة" [٩ يونيو].. وتتابعت الأعداد - خاصة الثلاثة التي تلت النكبة - تتابع طرح الشعارات التي تهدف إلى غاية واحدة هي صياغة تفسير ماركسي بمصطلحات غامضة للنكبة. لا لصرف النظر عن السؤال المطروح فحسب بل وللمساهمة إيجابيا لتعميق المفاهيم الماركسية، لأن القضية الأساسية عندهم ليست هي قضية فلسطين . لهذا كله كرر أحمد عباس صالح فكرة استمرار الثورة في رده على الدكتور الدجاني فقال "والثورة ستستمر لأن حركة التاريخ ليست عفوية.. وليست خاضعة لمزاج أحد .. إن العالم العربي مهيأ منذ ما قبل بداية هذا القرن لتحول جذري شديد .. وهو ماض في هذا التحول" .. (نفس المصدر صفحة ٢٠٩) .

وهكذا لا تبدو نكبتنا من هذه النظرة مجرد أحداث ٥ يونيو فحسب بل وضرورية أيضا.. يقول :

"ولعلى لا أبالغ إذا قلت إن هذه النكبة من وجهة النظر التاريخية الكلية - المقصود النظرة الماركسية للتاريخ كانت ضرورية حتى نستطيع أن نعيد النظر فى أمورنا إعادة شاملة ثم يتابع] من واجبات المثقف أن يحاول إلقاء نظرة كلية على المجتمع لا من زاوية واحد كزاوية فلسطين على أهميتها"..

(نفس المصدر صفحة ٢١٠) هذه العبارات واضحة الدلالة ، القصة ليست هى فلسطين لذلك فلا حديث عن النكبة .. القضية هى قضية الثورة الاشتراكية .. ومن هنا ينظر الشيوعيون فى بلادنا للنكبة على أنها مجرد أحداث ٥ يونيو.. بل وأحداث ضرورية إذ المهم أن تستمر الثورة .. والشيوعيون المصريون بالذات يقصدون من ذلك تحقيق عدة أهداف سواء فى داخل مصر أو فى الوطن العربى. وليس قصدنا هنا تحليل موقفهم فذلك سيأتى فى القسم الثانى من "ما بعد النكبتين ."

٦ - إن الليبرالية التركية ، كانت النزع الأخير وقد بدت أزمة نظامها السياسى فى انقلاب الجنرال جورسيل العسكرى عام ١٩٦٠ وتفجرت تناقضاتها أمام الشعب التركى على إثر مشكلة قبرص .. والانشقاق الأخير فى حزب عصمت اينونو - ١٩٦٧ - ليس إلا علامة النهاية ، وأزمة الليبرالية فى باكستان بدأت منذ أزمة وضع الدستور وظهرت إلى العيان يوم تسلم الجنرال أيوب خان السلطة - ولقد جاءت حرب كشمير عام ١٩٦٥ بمثابة [تذكير] آخر لباكستان يعطيها فرصة أخرى لتبنى الحل الإسلامى الذى كان المبرر الوحيد لقيامها . وأما ليبرالية الشاه !!؟.. فى إيران فقد أخر سقوطها الجنرال زاهدى وحكمه الدموى الرهيب وهى التى حاولت التحايل على البقاء تحايل اليائس فيما يسمونه "الثورة من فوق" (١٩٦٧) أما إندونيسيا فقد وصلت إلى ما وصلنا نحن إليه بانتهاء نظام سوكارنو ولكن تجربتها مع الماركسية والفكر الاشتراكى أكمل وأعمق من تجربتنا وأغنى بكثير من حيث مضمونها السياسى .

٧-نحن نعنى ما نقول تماما .. ففلسطين هى محك المستقبل للإسلام وللشعب العربى .. والقضية ينبغى أن توضع على هذا النحو المسلمون و"الحركة الصهيونية" الشعب العربى والفرنجة الجدد . وهى تعنى إما أن تدمر هذه العقيدة أو أن تبقى إما أن يحيا هذا الشعب أو أن يفنى .

٨ - يطلق الأوروبيون بمعسكريهما اسم "الشرق الاوسط" على العالم الإسلامى حينما يتحدثون عن قضاياه المختلفة، وذلك لتفريغه من مضمونه الحقيقى .. الثقافى والحضارى ، والحقيقة أن المصطلح نفسه يمثل الروح الاستعمارى والقارية فى نظرة الأوروبى الى العالم الذى يعتبر أوروبا مركزا له .

وقد نشأت التسمية من أيام الدولة العثمانية حيث أطلقت على المنطقة الممتدة من أفغانستان حتى إيران والتى كانت هى ميدان الصراع بين روسيا القيصرية وبريطانيا آنذاك .

٩ - إن تطور حياة الشهيد تمثل أدوار هذه التصفية تمثيلا صحيحا .

١٠ - فلم يعد هناك عذر لمثقف مسلم بعد اليوم أن يطالع كتابا أوروبيا "مفتونا" بل "دارسا" و"ناقدا" ، ولا يقف أمام لوحة لا يفهمها "معجبا" بل "متأملا" ، ولا أن يقف أمام آلة "مبهورا" بل "متعلما" و "مسيطرا" ولا أن يتصرف أمام أوروبى "مرتبكا" بل "واثقا" و "معللا" وربما يصبح يوما ما "معلما" أو كما يريده القرآن الكريم "شاهدا" كذلك لم يعد هناك عذر أمام المجتمع الإسلامى بعد التصفية التاريخية أن يظل "مساحة بيضاء" فى الصراع الفكرى ، أو "منطقة فراغ" فى الصراع السياسى، أو "معمل تجارب" للأنظمة الاجتماعية المتنازعة .. بل لابد من فكر إسلامى مبدع و "حركة إسلامية حية" و"حل إسلامى نهائى" .

دولة يوم القيامة

لم يطلب بوش من إسرائيل الرجوع عن اجتياحاتها المستمرة للأراضى الفلسطينية وبيوت السكان المدنيين ، لم يطلب حتى ضبط النفس ، ومطالبه من الفلسطينيين تحت الاحتلال أقلها تغيير قياداتهم .

على الرغم من مؤشرات متقطعة سابقة فإن البيان الأخير من الرئيس الأمريكى جورج بوش عن الشرق الأوسط جاء بمثابة الصدمة الحقيقية لكل من توسموا سابقا أن السياسة الأمريكية مهما مارست من شطط ستحتفظ لنفسها على الأقل بتشخيص موضوعى لحقائق الصراع ، ومع أن كل رئيس أمريكى طوال الخمس والثلاثين سنة الأخيرة كانت له بياناته المعلنة عن الصراع العربى الإسرائيلى .. إلا أن هذا البيان الأخير تجاوزها جميعا فى الشطط ودفع إسرائيل دفعا إلى المزيد من التطرف والتوحش فى اللحظة نفسها التى يدعو فيها الفلسطينين والعرب إلى مزيد من الإذعان والتكييف ، ومنذ مجيئها إلى السلطة كانت الإدارة الأمريكية الحالية تتحجج بأنها لا تريد مكافأة "الإرهاب" الفلسطينى بالتحرك نحو التسوية .

الآن جاء البيان الأخير من جورج بوش ليكافئ إسرائيل الشارونية بالتحرك إلى أبعد ما يمكن عن التسوية .

لقد اعتبر وزير الاتصالات الإسرائيلى أن خطاب بوش "كان يمكن أن يكتبه مسئول فى حزب الليكود" الإسرائيلى ، ووصفت جريدة إسرائيلية الرئيس بوش بأنه بعد هذا البيان أصبح عضواً جديداً فى الليكود ... وقال وزير إسرائيلى آخر إنه يجب تقليد بوش وسام

الصهيونية .. وعقب محلل إسرائيلى بارز على خطاب بوش بقوله : "اللسان لسان الرئيس بوش ، ولكن اليد التى كتبت الخطاب هى يد شارون ، وبإمكان شارون المطالبة بحقوق النشر إذا لم يكن بوسعه أن يحلم بخطاب مريح أكثر من ذلك ، وبعد الخطاب قام شارون بالاتصال هاتفيا بكوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومى لكى تنقل باسمه إلى رئيسها "أسمى آيات الشكر على الدعم الأمريكى لمواقفنا" ، وردت المستشارة بأن هذا الخطاب الرئاسى الذى جرى إبلاغ شارون بمضمونه مسبقا هو تأكيد على صداقة الرئيس بوش الحميمة لشارون .

أما بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق والذى يزايد هو نفسه على شارون فى تطرفه فقد وصف خطاب الرئيس بوش بأنه : "هدية أمريكية كبيرة للشعب الإسرائيلى بعد عامين من الإرهاب القاتل" وزاد بأن مسألة الدولة الفلسطينية تُركت للمستقبل البعيد ، مضيفا : "إننا سنتباحث فى هذه المسألة يوم القيامة" .

لم يطلب الرئيس الأمريكى فى بيانه من إسرائيل الرجوع عن اجتياحاتها المستمرة للأراضى الفلسطينية وبيوت السكان المدنيين ، لم يطلب حتى ضبط النفس ، لم يتناول التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، وبالطبع وبرغم ورود كلمة الإرهاب والإرهابيين فى خطابه ١٨ مرة ، فلم يتحدث الرئيس الأمريكى مرة واحدة عن الإرهاب الإسرائيلى الذى أسقط للفلسطينيين من القتلى خمسة أضعاف ما سقط للإسرائيليين ، علما بأن التقارير الرسمية الأمريكية ذاتها تسجل أن الانتفاضة الفلسطينية الحالية استمرت طوال شهورها الأربعة على الأقل غير مسلحة على الإطلاق .
بدلا من ذلك جاءت كل مطالب الرئيس بوش من الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال ، مطلوب من هذا الشعب تغيير قيادته عبر الانتخاب ، وإذا جاءت الانتخابات بالقيادة نفسها فعلى الفلسطينيين أن يدركوا من الآن أن الغضب الأمريكى سيكون كاسحا ، وربما فى حينها يصبح المطلوب هو تغيير الشعب الفلسطينى نفسه ، أكثر من ذلك هناك التزامات أمنية جديدة مطلوبة من الفلسطينيين لحساب إسرائيل ، وهناك ضمانات مطلوبة أمريكياً من مصر والأردن تحديدا لحساب تلك الالتزامات الأمنية ، هناك إنذار ضمنى لسوريا بطرد المنظمات "الإرهابية" الفلسطينية من أراضيها أو تتعرض سوريا لعواقب القائمة السوداء الأمريكية ، هناك أيضا التزام مطلق مطلوب من القادة العرب بإنهاء التحريض على العنف فى وسائل إعلامهم الرسمية والتنديد علنا بعمليات القتل الانتحارية ، حسب المفهوم الإسرائيلى ، وعليهم أيضا معارضة أنظمة الحكم التى تشجع الإرهاب مثل العراق .

ومع تحركنا نحو حل سلمى نتوقع من الدول العربية أن تقيم علاقات دبلوماسية وتجارية أوثق مع إسرائيل تؤدى إلى تطبيع كامل للعلاقات مع إسرائيل .

قائمة الطلبات الأمريكية فى بيان الرئيس بوش على هذا النحو مثيرة للتأمل .. إنه يطلب من الفلسطينيين : الدستور والقيادة الجدد والإصلاح والمؤسسات المسئولة والديموقراطية واقتصاد السوق والشفافية وتدقيق الحسابات والقضاء المستقل والتسامح والحرية وحب الجيران .. كلها أشياء جميلة وشاعرية وحضارية ومهمة قطعا .. لولا أنها تُقال لشعب على وشك الموت غرقا .

والمهددون بالغرق همهم الأول هو النجاة .. هو البقاء أولا على قيد الحياة ، بعدها فقط يمكنهم عزف الموسيقى ، والرئيس الأمريكى لم يتحدث مرة واحدة عن أس البلاء ، عن الاحتلال .. لم يتحدث عن ٣٥ سنة يعانى خلالها الشعب الفلسطينى من توحش الاحتلال الإسرائيلى على مدار الساعة .. لم يتحدث عن "الاغتيال المستهدف" ولا عن إذلال نقاط التفتيش ولا جبروت العقوبات الجماعية وقذائف طائرات الآباتشى . فى القاموس الأمريكى الجديد مصطلح واحد متكرر هو "الإرهاب" فإذا تخلص المواطن الفلسطينى من حياته يأساً من الأمر الواقع وانتقاما من محتليه ، فهذا إرهاب ، وإذا قرأ الطفل الفلسطينى فى كتابه المدرسى أن إسرائيل قوة احتلال فهذا تحريض على الإرهاب ، وإذا تلقت أسرة فلسطينية معونة مالية إنسانية تخفف عنها قيام الاحتلال الإسرائيلى بتدمير منزلها وتشريد أعضائها فهذا تشجيع على الإرهاب .

يحتاج المرء هنا ولو قادما من المريخ قدراً

شارون

هائلاً من الصبر وكظم الغيظ كلما قرأ الخطاب الأخير للرئيس جورج بوش أو اضطر إلى إعادة قراءته ، هذا خطاب صاغه أناس من كوكب آخر فى أحسن الأحوال ، وبالغى الجهل والسطحية وسوء النية والغطرسة فى أسوئها خطاب أخطر ما فيه أنه يُقال بلسان رئيس الولايات المتحدة ، القوة العظمى المنفردة التى تمتد مصالحها باتساع العالم ، قوة عظمى ، يُفترض أنها قادرة على تشخيص الحقائق بموضوعية أولا قبل تحديد خيارات التعامل معها ، قوة عظمى لديها مسئوليات عن مصالح شعبها قبل أى اعتبار آخر ، ولو لمجرد أنها دفعت فى تاريخها أثمانا باهظة من قبل حينما أخطأ سياسيوها فى قراءة حقائق الجغرافيا والتاريخ .

فى زمن سابق وظروف أخرى كانت قائمة الطلبات الإسرائيلية من الولايات المتحدة هى نفسها ، ولأن المناسبة فى سنة ١٩٧٠ كانت طرح "مبادرة روجرز" الأمريكية على مصر وجوهرها وقف مؤقت لإطلاق النار تحركاً لتنفيذ التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة حسب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبناء على تعليمات عاجلة

من إسرائيل طلب إسحاق رابين سفير إسرائيل وقتها في واشنطن اجتماعا عاجلا مع ويليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي ، حينما لم يتيسر ذلك طلب الاجتماع بجوزيف سيسكو وكيل الخارجية وبشرط أن يكون اللقاء على غداء عمل خارج مبنى وزارة الخارجية تحررا من الرسميات .

في الغداء تساءل السفير الإسرائيلي إسحاق رابين بغضب : كيف تدفعنا أمريكا الآن إلى الإلتزام بتنفيذ الانسحاب الكامل قبل أن تحصل لنا من مصر على تعهدات مسبقة بالحدود المفتوحة والتجارة الحرة والتبادل الثقافي ؟..

يومها رد عليه جوزيف سيسكو : كل ما تقوله جميل ولا شئ أقل منه تريده الولايات المتحدة لحسابكم ، لكن خلاصة طلباتكم هي أن يحبكم المصريون ، نحن ليس من مسئولياتنا إرغام المصريين على حبكم ، لن يحبكم المصريون ، أما الحقيقة الأهم من وجهة نظرنا فهي : إذا انتهت السياسة الأمريكية إلى أن تكون إسرائيل هي وحدها التي معنا والعالم العربي كله ضدنا ، فهذه لن تكون سياسة ، ولا هي تعبر عن مصلحة أمريكا .

في خطاب الرئيس بوش الأخير ما هو أخطر

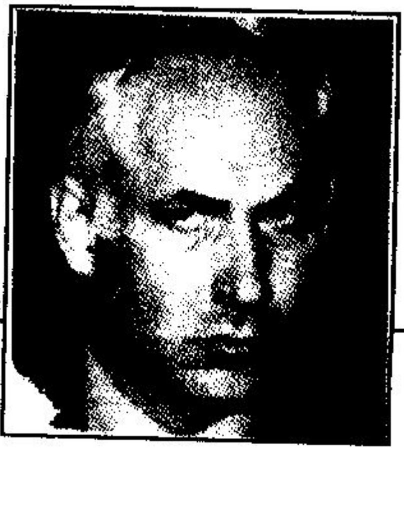

نتنياهو

من مضمونه ، الأخطر هو مصادرة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لحساب إسرائيل وعلى حساب العالم العربي بمجموعه وفي مقدمته نفس الدول التي تقول أمريكا ذاتها أنها صديقة لها ، كانت محنة اتفاقات أوسلو السرية كافية لتعليم القاصي والداني بأن معرفة محطة الوصول تأتي قبل معرفة خريطة الوصول وبحماية أمريكية ، أما الطرف الفلسطيني فالمطروح عليه هو شعار هلامي اسمه الدولة الفلسطينية تسمح بها إسرائيل حين ميسرة ، أو بتعبير بنيامين نتنياهو : نتباحث فيها يوم القيامة .

أما الأطراف العربية "الصديقة" فهي المفروض عليها تسديد الفواتير في كل مرة تتفق إسرائيل مع ياسر عرفات سراً فيدفع العرب الثمن ، تختلف إسرائيل مع عرفات بعد انتهاء صلاحيته فيدفع العرب الثمن ، تتخلص إسرائيل وأمريكا من عرفات! لتجيئا محله ببطانة محل الرضاء فيدفع العرب الثمن وفيما قبل وبعد هذا كله تحولت الأرض وهو جوهر القضية من أرض محتلة إلى أرض متنازع عليها .

قبل اتفاق أوسلو بسنتين قال إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل قبل سقوطه أنه ينوي الاستمرار في التفاوض لعشر سنوات تكون إسرائيل خلالها قد ضاعفت مكاسبها .

الآن نحن فيها من جديد ، نحن أمام "أوسلو ٢" في أحسن الأحوال ، وأمام انقلاب مفجع في السياسة الأمريكية في أسوئها .

محمود عوض

السابقون إلى الدار الآخرة

الشيخ محمد عبد السلام المتولى

فى ذمة الله

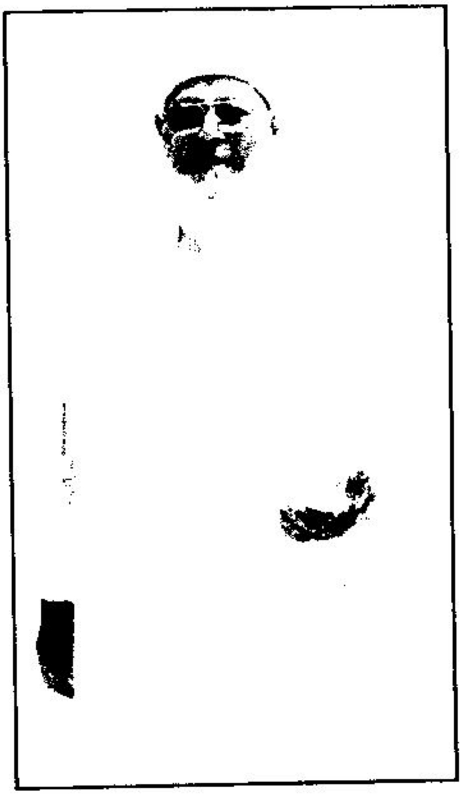

غيب الموت مجاهداً وجندياً فى خدمة الإسلام والمسلمين .. ذلكم هو فضيلة الشيخ محمد عبد السلام المتولى رئيس الجمعية الشرعية فرع المعادى .

إن هذا الرجل كان أمة ، أو قل إنه الرجل المؤسسة .. فمنذ أكثر من ثلاثين عاماً توجه هذا الرجل الصالح بجلبابه الأبيض الناصع نحو أرض فضاء تقع فى ضاحية المعادى واستفسر عنها ، وبعد أن جمع عنها كل ما يتصل بها من إجراءات بدأ جهاده الفذ .. قام باستخلاصها بعد أن عقد العزم على أن تتحول هذه الأرض إلى مسجد شامل .. ترك وظيفته وتفرغ لهذا الأمر ، وبارك الله فى خطواته .. لم يتصور أحداً أو يتخيل أن هذا المسجد سوف يتحول إلى مؤسسة إسلامية ضخمة تضم العديد من المشروعات الهائلة .

وتصل قيمة هذه المشروعات إلى عشرات الملايين من الجنيهات .. نعم .. بدأ بالمسجد وهو النقطة المركزية للمجتمع المسلم ، وبعد أن تم بناء مسجد الفتح بدأ مشروعه العظيم

الشيخ محمد عبد السلام مع بعض المسلمين

مستشفى الفتح لكى تكون فى خدمة الفقراء والمساكين وبأسعار فى متناول الجميع بعدها بدأ بمشروع معهد الفتح حضانة وابتدائى وإعدادى وثانوى .. ثم أنشأ بعدها مستشفى آخر تابع للفتح لكى يواصل دوره فى معالجة المسلمين مع توسع أكثر ، فأنشأ قسما ضخما لغسيل الكلى ومشروعا آخر للأشعة بأحدث وسائلها وبأسعار أيضا مخفضة .

لقد استعان الشيخ محمد عبد السلام بباقة من الأطباء والاساتذة والمتخصصين حتى أصبحت هذه المجموعة تتمتع بثقة الجميع ، ولم يكتفى بهذا بل بدأ مشروعا عظيما وهو إنشاء معهد أزهرى لخدمة منطقة المعادى ، وكان أيضا يستعين بفصيل من الأساتذة والمربين الذين أخلصوا دينهم لله وآخر مشاريع الشيخ محمد عبد السلام كان مأوى للعجزة والمسنين وداراً لذوى الحالات الخاصة .

نعم .. بدأت منارة الفتح تشع فى منطقة المعادى ودار السلام بل وخط حلوان ، وبدأت سمعته الطيبة تعم الآفاق .. كل هذا بفضل الله أولا وعنايته للرجل المخلص وبقية مجلس الإدارة الذى أحاط بالشيخ وكانوا نعم المعين والمستشار الامين .

بقى شئ .. يجب أن نذكره وهو جماهير المسلمين الذين ينتمون إلى هذا البلد الطيب مصر .. فمن قروشهم المعدودة تم بناء هذا الصرح الشامخ والمؤسسة المباركة ... وظل الشيخ محمد عبد السلام يثابر ويكدح حتى تم له ما أراد ، فقد كان شعلة وقادة وحركة دائبة حتى وافاه الأجل ، وكأنما ينطبق عليه الحديث الشريف فيما معناه : "إن الله إذا أحب عبدا وفقه لعمل صالح يعمله ثم يموت عليه" .

رحم الله الشيخ محمد عبد السلام وأجزل له الثواب والعطاء جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خدمات .. وأسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصالحين والصديقين وحسن أولئك رفيقا .

الشيخ محمد عبد السلام ومحافظ القاهرة يقومان بافتتاح دار القدس للأطفال ذوى الاحياجات الخاصة

غرور القوة
جدلية الإمبريالية الأمريكية والنموذج الأمريكى

من عجائب الطبائع البشرية أن انعدام الثقة بالنفس يولد عند بعض الناس شعورا مبالغا فيه بالقوة والرسالة .. ينطبق هذا على الأمم كما ينطبق على الأفراد ، كذلك إذا اجتمع فى أمة واحدة أقصى القوة مع انعدام الثقة بالنفس فإنها سوف تتصرف على الأرجح بأسلوب فيه خطر على نفسها وعلى الآخرين .. مثل هذه الأمة يتملكها شعور جارف بحاجتها لأن تبرهن على ما هو واضح جلىّ لكل ذى عينين .. وتلك حالة مرضية من أبرز أعراضها أن تخلط هذه الأمة بين القوة العظمى والقوة المطلقة وبين المسئولية العظمى والمسئولية الكلية الشاملة .. يصحب هذا إصرار عجيب ألا تعترف بأى خطأ ترتكبه ، وإيمان لا أساس له من منطق بأنها لابد أن تكسب أى جدل أو مناقشة مع الآخرين ، مهما بلغت تفاهة ما تقدمه من أدلة على صواب رأيها .. تتميز هذه الحالة المرضية أيضا بسوء تقدير الأمة لقوتها الحقيقية فتتسرب الحكمة من مواقفها ويتضاءل دور الإدراك الدقيق فى حكمها على الأشياء .

[وليام فولبرايت]

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

صاحب هذا الكلام الحكيم سياسي أمريكي مخلص لوطنه كتبه ليحذر بلاده من خطر التورط في ما أسماه "غرور القوة" ، فقد تبين له من دراسته وتحليله لنشأة الإمبراطوريات الكبرى في العالم وسقوطها ، أن قادة هذه الأمم كانوا يفتقرون إلى الحكمة وحسن التقدير في استخدام ما لديهم من قوة ، يقول :

" لقد بلغنا الآن نقطة في التاريخ عندها تصبح الدولة العظمى في خطر عندما تفقد رؤيتها الصحيحة لما هو في نطاق قوتها وما هو خارج عن حدود هذه القوة ، وعندما بلغت أمم أخرى هذا المنحنى الخطر في حياتها حلقت أعلى مما ينبغي لها وبسطت جهدها أبعد من طاقتها فتدهورت ثم سقطت" .

هذا المصير المأساوي ، وذلك السقوط من ذروة القوة هو الذي يحذر منه الكاتب والسياسي الأمريكي الحكيم بلاده من خطر الوقوع فيه .. إنه وليام فولبرايت .. كان نائبا في مجلس النواب ثم في الكونجرس .. بدأ عمله في السياسة سنة ١٩٤٣ وأصبح عضوا في لجنة العلاقات الخارجية ثم رئيسا لها ، شهد عهود خمسة من رؤساء الولايات المتحدة هم : روزفلت وترومان وايزنهاور وكندي وجونسون ، وتعاقب عليه ثمانية من وزراء الخارجية .

وللشقة في خبرته العريضة وحكمته وشجاعته استدعته كلية جونز هوبكنز للدراسات الدولية بواشنطن سنة ١٩٦٤ لإلقاء ثلاثة محاضرات عن بعض جوانب من السياسة الأمريكية الخارجية التي يعتبرها الأعظم أهمية والأجدر أن تحظى بإعادة النظر فيها ، فاختار لهذه المحاضرات عنوانا جامعا هو "غرور القوة" ، على أساس هذه المحاضرات الثلاثة ألف وليام فولبرايت كتابا بهذا العنوان نُشر له في سنة ١٩٦٦ .

توقف فولبرايت طويلا وهو يبحث عن إجابة لسؤال كثيرا ما حيره ألا وهو : لماذا تتنازع الأمم حول قضايا بعينها ؟.. ولماذا تعنى أصلا بهذه القضايا بالذات ؟!..

لم يجد فولبرايت إجابة مقنعة أو مريحة فانتهى إلى القول بأنه :

"فيما يتعلق بالحرب والسلام ستبقى هناك أسئلة معلقة كأنها غير قابلة للإجابة " .

ولكنه وجد مخرجا في كتابات "ألدوس هكسلي" فاقتبس منها هذه الفكرة التي بدت له في السياق التالي :

"قد يحدث بين الناس نقاش حول أفضل طريقة لزراعة القمح في مناخ بارد ، أو حول إعادة تشجير الجبال التي تعرّت من أشجارها ولكن مثل هذه المناقشات لا تؤدي أبدا إلى مذابح منظمة ، إنما تنتج المذابح المنظمة من الجدل حول أسئلة من هذا النوع :

من هي الأمة الأفضل ؟

ما هو الدين الأفضل ؟

ما أفضل نظرية سياسية ؟

ما أفضل شكل من أشكال الحكومات ؟

لماذا الشعوب الأخرى بهذا الغباء وذلك الشر ؟

ولماذا لا يستطيعون أن يروا كيف أننا أخيار وأذكياء ؟..

ولماذا يقاومون محاولاتنا الخيّرة لجعلهم تحت سيطرتنا لكي نصنعهم مثلنا ؟..

الأسباب المعلنة والأسباب الخفية :

يقول وليام فولبرايت معلقا : كثير من الحروب التى خاضتها البشرية كانت حول هذه الأفكار المجردة ، وكلما تأملت فى الحروب الكبرى عبر التاريخ كلما زاد اقتناعى بأن الأسباب التى نُسبت إليها مثل :

الأرض والأسواق ومصادر الثروة والدفاع عن المبادئ الكبرى ، لم تكن فى الحقيقة هى الأسباب الجذرية العميقة ، وإنما كانت ذرائع أو شرحا لدوافع كامنة يصعب أو يتعذر سبر أغوارها فى أعماق الطبيعة الإنسانية ، ونظرا لغياب الفهم الواضح لماهية هذه الدوافع فإننى أشير إليها بعبارة "غرور القوة" .. وكأنها حاجة نفسية دفينة تحتاج إليها الأمم لتبرهن لنفسها وللآخرين أنها أعظم وأفضل وأقوى من الأمم الأخرى .

فى أعماق هذه الدوافع الغامضة هناك افتراض غامض لا يحتاج إلى برهان ، وهو أن القوة نفسها هى البرهان المطلق على التفوق .. وتفسير ذلك أنه عندما ترينا أمة من الأمم أنها تملك الجيش الأقوى فكأنها بذلك تبرهن لنا ضمنا أن شعبها ومؤسساتها ومبادئها هى الأفضل ، وبصفة عامة أنها تملك الحضارة الأفضل من جميع الحضارات الأخرى .

يستطرد فولبرايت فى تدعيم هذه الفكرة فيقول : "دليلى على صحة هذا أجده فى التناقض الصارخ بين الأسباب المعلنة والأسباب الخفية لكثير من الحروب الحديثة ، وفى التناقض بين أسبابها المعلنة وبين النتائج التى وصلت إليها" .

ويضرب لنا عدة أمثلة نكتفى بمثلين منها :

١ - كان السبب المعلن للحرب البروسية الفرنسية ١٨٧٠م خلافا بينهما حول من يخلف العرش الإسبانى ، وقد اختلط هذا السبب بسبب آخر كان مفهوما ضمنا وهو معارضة فرنسا للوحدة الألمانية ، ولكن كان من الواضح أن عملية توحيد ألمانيا كانت تسير فى طريقها ، وكان يمكن إتمام هذه العملية بدون الحاجة إلى شن حرب على فرنسا ، وفى معاهدة السلام التى انعقدت بينهما لم يرد أى ذكر للعرش الإسبانى فقد نسى الجميع أمره .. فما هى النتيجة الواقعية التى تحققت بعد الحرب : خسرت فرنسا مقاطعتى الألزاس واللورين، وتم إذلال فرنسا، وظهور ألمانيا باعتبارها أكبر قوة فى أوروبا ، وذلك كله لم يكن ليتحقق بدون حرب .

ويعجب الإنسان إلى أى مدى كان الألمان مدفوعين برغبة جامحة لتقليص أولئك الفرنسيين المتعجرفين إلى حجمهم الحقيقى !..

٢ - فى سنة ١٨٩٨ ذهبت الولايات المتحدة إلى كوبا تحت شعار تحريرها من الطغيان الإسبانى ، ورغم أن إسبانيا كانت مستعدة لدفع ثمن باهظ لكى تتجنب الدخول فى حرب مع الولايات المتحدة ، ولكن الأخيرة لم تلتفت إلى ذلك بل مضت فى حربها ضد إسبانيا حتى رحلت عن كوبا.. فما الذى فعلته أمريكا بعد ذلك ؟.. إنها لم تطلق سراح كوبا وإنما وضعتها أولا تحت حمياتها ثم ضمتها إلى أملاكها .

كانت الفلبين أيضا تحت الاحتلال الإسبانى فقامت أمريكا بشرائها بخمسة وعشرين ألف دولار وفرضت عليها الاحتلال ، وبدلا من أن تعترف أمريكا أن احتلالها للفلبين كان وراءه أطماع إمبريالية فى ثروات الفلبين وأسواقها

وفتح مواقع جديدة للاستثمارات الأمريكية الرأسمالية ، يعلن الرئيس الأمريكى ماكنللى أن الله أوحى إليه أن من واجب أمريكا أن تنهض بعبء تربية الفلبينيين ورفع شأنهم وتحضيرهم وتنصيرهم .. ويستطرد قائلا : "سوف نبذل قصارى جهدنا معهم لأنهم إخواننا فى الدين الذين مات المسيح من أجلهم" .

ويعلق فولبرايت على هذا الكلام ساخرا فيقول : "أليس من المثير حقا أن يكون الصوت هو صوت الرب بينما الكلمات هى كلمات "ثيودور روزفلت"، و"هنرى كابوت لودج" و"الأدميرال ماهان" ؟!.. وكان هؤلاء هم قادة الإمبريالية وروادها سنة ١٨٩٨ الذين أرادوا أن يبنوا لأمريكا إمبراطورية لمجرد أنها دولة كبرى وقوية .

كانت هذه هى روح العصر التى عبر عنها بوضوح "ألبرت بيفريدج" بقوله : "إننا عنصر غاز بطبعه .. وينبغى أن نطيع دوافع الغزو التى تجرى فى دمائنا .. وأن نحتل أسواقا جديدة وإذا لزم الأمر نحتل أراضى جديدة"والسبب كما يراه بفريدج : "أن الله فى قدره وخطته الأزلية أن تزول الحضارة المتردّية وتتلاشى الأجناس المنحطة أمام زحف الحضارة الأرقى والإنسان الأقوى والأنبل".

فى إطار سيادته "غرور القوة" على ثقافة الشعب الأمريكى يحاول وليام فولبرايت تقييم مواقف الأمريكيين تجاه الشعوب الأخرى الصغيرة ، تلك الشعوب التى ذهب الأمريكيون لمساعدتها ، يقول : "بصفة عامة يمكن القول بأن هناك علامات لغرور القوة لا تخطئها العين فى مسلك الأمريكيين عندما يذهبون إلى البلاد الأخرى .. وغالبا ما يعلق الأجانب على التناقض الملحوظ بين سلوك الأمريكيين فى بلادهم وفى الخارج ، فهم فى بلادهم كرماء أما فى الخارج فإن شعورهم بالانتماء إلى أكبر وأغنى دولة فى العالم يجعلهم يتصرفون بشئ من التعالى كأنهم يملكون المكان وأن أهل البلاد أنفسهم غير موجودين .

الشعور بالرسالة :

إلى جانب الشعور بالقوة المتفوقة يأتى شعور آخر مرتبط به وهو شعور بالرسالة ، أو الواجب الذى يرى الأمريكيون أن يؤدوه تجاه الآخرين .. ويضرب على ذلك فولبرايت بمثالين نلاحظ فيهما اختلالا فى فكرة الواجب ونشاذاً فى السلوك المترتب عليها :

يحكى الدكتور "تشيشولم" قصة عن أحد المبشرين المسيحيين البارزين ، ذهب يعظ فى بلاد الإسكيمو .. قال على لسانه :

"لقد مكثنا معهم عدداً من السنين لم نستطع أن نعمل معهم شيئا على الإطلاق .. فهؤلاء الإسكيمو لا يقترفون أى إثم كما نفعل .. ويبدو أنه لكى نستطيع فعل أى شئ معهم لابد أن نعلمهم أولا كيف يرتكبون الآثام لعدة سنوات!.."

أما المثال الثانى فيأتى فى قصة أخرى لثلاثة من تلاميذ الكشافة كتبوا فى تقرير لرئيسهم : إنهم استطاعوا مساعدة امرأة عجوز فى عبور الطريق .. فسألهم : ولماذا احتاج الأمر إلى ثلاثة ؟.. ألم يكن واحد منكم فقط قادرا على القيام بالمهمة ؟..

فأجاب التلاميذ ببساطة : كانت المرأة لا تريد عبور الطريق !..

كوريا وفيتنام :

يتجلى غرور القوة وانحراف الرسالة فى علاقة الولايات المتحدة بكل من كوريا الجنوبية وفيتنام .. وهنا نجد فولبرايت متأثرا بالأهداف البراقة المعلنة عن أسباب التدخل فى هاتين البلدين .. وخلاصتها أن أمريكا ذهبت لمساعدتها فى الدفاع عن نفسيهما وعلى إقامة حياة ديموقراطية .. ولكنه يثير على ذلك اعتراضا هاما يتصل بأسلوب التدخل العسكرى واستخدام القوة فى تحقيق مثل هذه الأهداف ... هو يعترض فى الأساس على قدرة الولايات المتحدة أو أى دولة غربية أخرى عندما تذهب إلى شعب آسيوى صغير غريب ومتخلف لكى تخلق عنده استقرارا حيث تسود الفوضى ، وتحيى إرادة النضال حيث تسود روح الانهزام ، وتقيم ديموقراطية حيث لا توجد تقاليد ديموقراطية ، وحكومة أمينة حيث الفساد هو أسلوب الحياة .

لذلك نراه يعبر عن دهشته من المظاهرات التى اندلعت فى ربيع ١٩٦٦ فى شوارع سيجون ضد الولايات المتحدة حيث أحرق المتظاهرون سيارات الجيب الأمريكية وحاولوا الاعتداء على الجنود الأمريكيين ، وأخذوا يهتفون بسقوط الإمبريالية الأمريكية ، ووقف رجل دين بوذى يخطب فى الجماهير فلعن الولايات المتحدة والشيوعيين باعتبارهم جميعا مصدر تهديد لاستقلال كوريا .

يقول فولبرايت معلقا على ذلك :

"لقد شعر الأمريكيون بصدمة كبرى وغضب شديد أن يفاجأوا بكل هذه المشاعر المضادة من شعب لولا تضحيات الأمريكيين بأموالهم وأرواحهم ما كان له أن يتحرر .

ويتساءل مستنكرا : أهم حقا يكنون لنا كل هذه الكراهية وهذا الجحود !؟..

ومرة أخرى يقدم فولبرايت عن هذا التساؤل إجابة يبدو فيها تأثره بالأنماط الفكرية السائدة فى الولايات المتحدة فيقول : "إنه التأثير القاتل للغنىّ والقوىّ على الفقير الضعيف .. فالقوة الأمريكية إهانة لضعفهم والغنى الأمريكى سخرية بفقرهم والنجاح الأمريكى تذكرة لهم بفشلهم .. "ونستخلص من ذلك" أن ما ينكرونه منا هو الأثر القاهر لثقافتنا القوية على ثقافتهم الهشة .

أسباب وهمية للكراهية :

نلاحظ هنا أن فولبرايت يكاد ينسى فكرته الأصلية عن غرور القوة وتأثيرها على السلوك الأمريكى تجاه الشعوب الأخرى ، فراح يلتمس أسبابا وهمية للكراهية والتمرد على الولايات المتحدة .

من أجل هذا لا ينبغى أن نستغرب الأفكار أو التصريحات التى أطلقها الرئيس جورج بوش الأصغر بعد حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، عن حرب الإرهاب الإسلامى والحملة الصليبية التى كان يزمع شنها على الإرهابيين الأصوليين وأهم من كل هذا هو تصويره لمشاعر العداء للولايات المتحدة أنه عداء للديموقراطية والحضارة والرخاء الذى يتمتع به الشعب الأمريكى .

إنه نفس المصدر الذى خرج منه البيان الذى وقعه ستون من المثقفين الأمريكيين يهاجمون فيه

الإسلام وينسبون إليه الإرهاب ، ويحرضون الولايات المتحدة على ردع المسلمين أعداء الغرب والحضارة الغربية تأكيدا لوجهة نظر الصهيوني العريق صامويل هانتنجتون في نظريته عن صدام الحضارات .

ربما نلتمس لوليام فولبرايت العذر في أنه كان يحمل في مخيلته صورة مشرقة لبلاده في ذلك الوقت من عام ١٩٦٦ ، ولم يكن الخطاب السياسي في الإدارة الأمريكية قد انحدر إلى هذا المستوى الذي نشهده اليوم بحيث تصف واحدا من أكبر مجرمي الحرب في التاريخ المعاصر بأنه رجل سلام .. ربما نلتمس العذر لوليام فولبرايت لأنه لم يشهد دولته تنتهك الديموقراطية وحقوق الإنسان على الأرض الأمريكية كما تفعل اليوم ، حيث تُنتهك حرمات البيوت وتلقى القبض على آلاف الأبرياء وتُصادر المؤسسات الخيرية الأمريكية التي يملكها المسلمون بحجة محاربة الإرهاب .

المشهد الڤيتنامي :

تستقيم الصورة عند فولبرايت عندما ينتقل إلى المشهد الڤيتنامي حيث يقتبس تقريرا لمراسل نيويورك تايمز ويعلق عليه باعتباره نموذجا متكررا لتقارير صحفية أمريكية أخرى كثيرة .. الحديث عن فيتنام الجنوبية في الوقت الذي كانت تتعرض فيه لهجمات الفيتكونج الشيوعيين ، وكانت القوات الأمريكية تملأ البلاد بحجة الدفاع عن الڤيتناميين في الجنوب.

هذه بعض محتويات التقرير الصحفي :

"وجد كثير من الڤيتناميين أنفسهم مضطرين للسماح لنسائهم وبناتهم للعمل في الحانات لخدمة روادها من الجنود الأمريكيين ، وإشباع غرائزهم الجنسية .. وقد انتحر جندي ڤيتنامي تحت وطأة الشعور بالعار لأن زوجته افترسها جندي أمريكي في واحدة من هذه الحانات ..

ويمضي التقرير الصحفي ليتحدث عن صعوبات الحياة اليومية والمعيشية التي يعانيها الڤيتناميين بسبب وجود القوات الأمريكية في بلادهم .. فقد أصبح من الصعب على الڤيتنامي إيقاف تاكسي لأن صاحب التاكسي يفضل الزبائن الأمريكيين لأنهم يدفعون ببذخ.

في هذا المناخ الذي أشاعه الأمريكيون بدولاراتهم صعدت طبقة من بنات الحانات والعاهرات وأصحاب الملاهي الليلية وسائقي التاكسي إلى أعلى درجات الهرم الاقتصادي في ڤيتنام الجنوبية ، وعلى عكس ذلك تدهورت أوضاع الطبقة المتوسطة فأصبحت الأسر فيها لا يستطيعون الحصول على مسكن مناسب ، لأن الأمريكيين رفعوا إيجارات المساكن إلى مستويات لا يقدر عليها الڤيتناميون ، حتى أن أصحاب العقارات كانوا يطردون سكانها الوطنيين لتأجيرها للأمريكيين ، وأصبح الموظف الڤيتنامي والجندي .. بل الضابط الڤيتنامي غير قادرين على إعالة أسرهم بسبب التضخم المالي الذي أحدثه الأمريكيون في الاقتصاد الڤيتنامي .

التقى الصحفي الأمريكي بعدد من الڤيتناميين في الطريق وسألهم عن مشاعرهم تجاه الوجود الأمريكي ، فلم تخرج إجاباتهم عن هذه العينية :

قال أحدهم .. في أي وقت ، وفي أي مكان

يحل فيه الأمريكيون البيض تحل الأزمة بالسكان الوطنيين .. وقال آخر .. نحن لا نحب الأجانب .. أى نوع من الأجانب فلا تتعجبوا أننا لا نحبكم .

ويعلق وليام فولبرايت على ذلك بقوله :

"وهكذا فإنه برغم الجهود الأمريكية لبناء الحرية فى ڤيتنام الجنوبية فإن النتيجة كانت مختلفة عما قصدناه ، فكأن كل هذا النضال والمعاناة لجعل العالم مكانا أفضل كان خطأ كبيرا" .

هو يفترض أن هذا كان هدف الولايات المتحدة فى ڤيتنام ، ونحن قد لا نتفق معه فى افتراضه ولكننا نوافقه على النتيجة التى توصل إليها وهى "أن الوسيلة التى لجأت إليها الولايات المتحدة فى تحقيق هذا الهدف كانت خطأ كبيرا ، "ذلك أننا كنا نريد تغيير المجتمع الڤيتنامى بالقوة وهى مهمة لا يمكن – بطبيعتها – أن تتحقق بالقوة ولا بأى وسيلة أخرى يملكها جنودنا فقد يكون الهدف مرغوبا ولكنه مستحيل" ، ويستشهد على ذلك بعبارة لجورج برنارد شو حيث يقول : "إن الدين قوة كبرى بل هو القوة الحقيقية المحركة فى هذا العالم ، ولكن ما لا تفهمونه أيها الأصدقاء هو أنه لابد أن تصل إلى الإنسان من خلال دينه هو لا من خلال دينك أنت" .

يقول فولبرايت فى موضوع آخر : كان هدفنا البرئ هو تعزيز التنمية والديموقراطية فى البلاد التى أردنا مساعدتها ، ولكن فلاسفتنا رأوا أنه للوصول إلى هذه الغاية لابد من تدمير أساليب الحياة القديمة العقيمة .. فى هذا الجزء الأخير كنا أكثر نجاحا ، ويرجع ذلك إلى المعرفة والمهارة والمال والموارد التى توفرت لنا بمقادير لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، ومن ثم استطعنا السيطرة على سكان البلاد الأصليين وعلى مقدراتهم .. وهنا انتهى نجاحنا ، فقد انهار نظام الحكم التقليدى وانهارت المؤسسات وأساليب الحياة تحت طرقات الثراء الأمريكى والقوة الأمريكية .. ولكننا فشلنا فى استبدال ذلك بمؤسسات جديدة وأساليب جديدة فى الحياة ، ولم يسفر هذا التفكيك عن ديموقراطية أو تنمية أو تقدم بل أسفر عن فوضى عارمة وانخطاط ، ذلك لأننا خلال عملية هدم الأساليب التقليدية فى العمل هدمنا الثقة بالذات والاعتماد على النفس ، وهما ركيزتان لا يمكن لمجتمع بدونهما أن يبنى مؤسساته .. فتحول الناس بين يوم وليلة إلى حالة من التسوّل والعالة وامتهان الذات" .

أتذكر هذه الحقيقة دائما وأضرب كفّا بكف كلما سمعت عن اعتزام أمريكا بناء دولة ديموقراطية متحضرة فى أفغانستان بينما هى تدمرها كل يوم بأطنان من القذائف ، وكلما سمعت عن ضغوط أمريكية على مسألة التعليم فى بلاد المسلمين .. وأنظر يمينا ويسارا فلا أرى دولة واحدة أقامت فيها أمريكا ديموقراطية أو أصلحت فيها شأنا ، ولا أرى فى أصدقائها إلا حكاما طغاة فاسدين كانوا وبالا على شعوبهم من أمثال ماركوس الفلبين وشاه إيران وجنرالات الانقلابات الدموية فى أمريكا اللاتينية .. يا ويل البشرية من الغرور الأمريكى فى عهد بوش وشارون !!!..

محمد يوسف عدس

مستشار سابق بهيئة اليونسكو

عمر يظهر فى القدس

(١٢)

استدعى أطباء المستشفى وغيرهم من العاملين لاستجوابهم فى بعض الأمور الخاصة بالمريض المشهور ، وكان السؤال الأول : هل لوحظ أى شئ غـريب فى بطن المريض أو أحشائه ؟؟ كان السؤال مضحكاً ، وكانت الإجابة لاتحتاج إلى تأكيد ، ولم تؤد إلى أية حيرة ، أما السؤال الثانى وهو الأهم فقد كان عن هذيان المريض أثناء إفاقته من التخدير ، فروا الوقائع كما حدثت دون زيادة أو نقص ، بل تطوع الدكتور عبد الوهاب وشرح لهم ما هو النعمان بن مقرن ، ومن هو سعد ، اللذان قصدهما الخليفة بالحديث ، غير أن ضابط المخابرات سأل فى تهديد :

– هل ذكر اسم أحد الفدائيين أو المنظمات الفدائية ؟..

– لا ..

«هل جاء على لسانه ذكر لأية بلدة عربية أو إسلامية ؟

– لا ..

أبدى رجل المخابرات الشك فى حديثهم ، وصرخ :

– لا يمكننى الوقوف مكتوف اليدين أمام مؤامرة تُحاك تحت سمعى وبصرى ..

قال عبد الوهاب :

– قلنا الحق ولاشئ غير الحق

وضحك الدكتور وهيب ساخراً وقال :

- حتى أنتم تسقطون ضحية خرافة ، رحم الله الشاعر القديم حين قال :

حياة ثم موت ثم بعث

حديث خرافة يا أم عمرو

وقال الجراح المصرى الدكتور محمود العنانى وهو يضغط على مخارج الحروف :

- ليس لدى أى تعليق ، أنا هنا لأجيب بلا أو نعم ..

أما أنا فقد عزلونى وحدى ، واستمر التحقيق مع الأطباء فترة قصيرة ، وعندما خرجوا تهيأت للدخول ، وكم كانت دهشتى حينما وجدت جنديين مسلحين يأتيان ، ويدفعاننى دفعاً إلى سيارة مغلقة ، تبدو كالزنزانة المظلمة ، ثم تنطلق بى إلى مكان ناء بالقدس الجديدة ، إنه معتقل من المعتقلات لم أحظ بشرف المثول فيه قبل ذلك ، ثم قذفوا بى فى حجرة مظلمة ليس بها فراش ولا ماء ، كان هناك دلو صغير فى أحد أركانها . يبدو أنه لقضاء الحاجة .. وبقيت نهبا للظلام والصمت والانتظار عدة ساعات مرت كدهر ، وعند منتصف الليل أخرجونى من الزنزانة .. دفعنى السجان بغلظة وجفوة .. ثم صفعنى على القفا .. أول القصيدة كفر .. هذا لا يبشر بخير على الإطلاق ، ثم رفسنى بحذائه الثقيل .. غلت الدماء فى عروقى ثم التفت إليه فى غيظ .. هدر كوحش مفترس "ألا يعجبك تصرفى" .. (خذ) ثم صفعنى على وجهى ، وأعقبها بلكمة قوية سددها إلى فكى الأسفل ترنحت على أثارها ، لكنى تماسكت ولم أسقط .. وتمتمت :

- هذا ظلم ..

قهقه فى سخرية ، ودفعنى من الخلف حتى كدت أرتمى على وجهى ، فتلقفنى رجل آخر وقال فى رقة : "لماذا تقسو عليه هكذا ؟ ؟.." ودُهشت .. أيوجد هنا إنسان يعرف الرقة والعطف .. وأخذنى على حين غرة بصفعة مباغتة .. وشهقت .. وأتبعها بركبة قوية فى بطنى .. تهاويت بعدها على الأرض عاجزا ، والألم يمزق أحشائى ، ورأسى تدور فجذبنى من رباط العنق حتى انطرحت على الأرض تماما ، وانقض علىّ كلبان مُدربان أخذا ينهشان فى جسدى حتى مزقا سروالى ، وأسالا دمائى .. والزبانية يضحكون .. ويدللون الكلاب باسم الزعماء العرب .. وصاح رجل من بعيد :

- "أيها الأغبياء كفوا عن هذا العنف .. العقاب لا يصح أن يسبق التحقيق ، دولتنا الوحيدة فى الشرق التى تعيش فى ظل الحرية والقانون .. وتعامل الناس كل لون وعقيدة بصدق وعقل .. لا تسيئوا إلى سمعتنا" .

إنه أحد الضباط الإسرائيليين ، هذا الأسلوب أعرفه جيداً ، الكلمات الحلوة تحمل وراءها عذابا رهيبا .. يأمر بالضرب ثم يعتب على من نفذوا أوامره ، أو يدعو إلى الرحمة لكى تنصب على الأبرياء ألوان القسوة المتناهية .. هكذا الجلادون فى كل مكان ..

خدعة ساذجة لا تنطلى إلا على المساكين والبلهاء .. واقترب الضابط منى وربت على رأسى فى حنان بالغ ، فقلت :

- أشعر بظمأ شديد .

فطلب من السجان كوب ماء ، ثم التفت إلىّ فى هدوء وقال :

- لا منجاة لك إلا بالصدق ، أنت تعرف ذلك ، والعاقل من يوفر على نفسه المتاعب ، ويوفر على غيره الجهد الذى لا مبرر له ، سوف ننتزع منك كل ما نريد بأية وسيلة .. هذه ضرورة لأنه يرتبط بأمننا وسلامة الدولة .. كل العالم يفعل ذلك .. أتعدنى أن تقدم كل ما لديك من معلومات ؟؟..

قلت ولسانى فى فمى كقطعة من الخشب:

- أعدك ، ليس لدى ما أخاف من إذاعته.

قطب جبينه ، وسدد إلىّ نظرات ذئب جائع وقال :

- فلنر ما حدث من البداية للنهاية دون أن تنسى شيئا مهما كان تافها .. تكلم عن كل شئ .. كيف التقيت به ؟.. ماذا قلت وماذا قال ؟.. أى تعليق صدر منه ؟.. كيف يأكل .. كيف يشرب ؟.. الشخصيات التى التقى بها .. رأيه فى مشكلة الشرق الأوسط ، وقرار مجلس الأمن .. والمفاوضات بين العرب وإسرائيل ..

وأخذت أجيب على كل تساؤلاته ، لكن الضابط قال :

- ورأيه فينا ؟؟..

- رأيه سئ بالنسبة لكم وللدول العربية عموما .. العالم كله فى نظره يعانى من جاهلية سوداء ، ويغوص فى مستنقع من الإثم والفساد ، ويعتوره الزيف والفساد .

ضحك الضابط حتى كادت حنجرته تنشق وقال :

- ذلك كلام رجل بليغ يحب الإنشاء .. مثل هذا الكلام لا يقلقنى ولا يزعجنى ..

وأبديت له جهلى التام بالبلد الذى نشأ فيها وبعلاقته بالمنظمات ..

- لكنك صفيّه وخليله ..

- أنا رجل وضعتنى الأقدار فى طريقه يا حضرة الضابط .. لم أكن انتظره .. لم نكن على موعد ..

اكتسى وجه الضابط بالجد وقال :

- كثرت الأعمال (الإرهابية) منذ قدم ، وازدادت المظاهرات ، فما تفسير ذلك التمرد ؟

- لا صلة له إطلاقا بشئ من هذا .

- وما دليلك ؟؟..

- أكاد أكون معه بصفة مستمرة .

- أليس لديك عمل ؟..

- فُصلت من وظيفتى بلا سبب ..

- أنت داهية ..

- لم أخف شيئا يا حضرة الضابط ..

- أنت تكذب .. لن نعجز عن فض الأختام .. إننا قادرون على هتك الستر عن الغيب .

قلت دون وعى :

- إنكَ تتحدى الله .

- هذا شأنى .. أم تريد أن تحمل إلينا رسالته .

- آسف ..

- ومخابراتنا تعرف كل شئ .. تعرف توزيع القوات العربية وقواعدهم وسلاحهم وخبراءهم الأجانب .. مستحيل أن يظل هذا اللغز (التافه) على غموضه .. إذا اعترضنى سر فإما أن أحل رموزه أو أحطمه إلى الأبد .. أتفهم كلماتى ؟..

قلت وأنا أتلوى :

- الظمأ يكاد يقتلنى .. والحر شديد .

أشار إلى رجل قريب ، وطلب منه إحضار الماء على وجه السرعة ..

- عمر هذا لا قيمة له ، المهم الأيدى الخفية التى تحركه ، والمخطط الذى رسموه لنا .. هو مجرد آلة ..

- وماذا أفعل !!..

- أنت لم تلق أشعة واحدة من الضوء ..

- إننى أختلف معك يا حضرة الضابط .. كل شئ واضح غاية الوضوح .

كور قبضته ولوح بها مهدداً :

- أستطيع أن أسحقك كحشرة .. مئات مثلك يبتلعهم العدم فى سجوننا ، ولن يبكى عليهم أحد ..

لا معنى للعناد إذا كان سيكلفك حياتك ..

وسعل سعلة مصطنعة ، ورأيت وجوهاً ثلاث مكفهرة ، وسياطا ترتفع ثم تهوى على رأسى وجسدى ووجهى ، أخذت أتلوى وأنا أضع يدى فوق عينى .. وأستغيث ..

قال الضابط وهو يهم بمغادرة المكان :

- ستظل تحت هذا الوابل حتى تنفك عقدة لسانك ..

فجريت نحوه وقد اشعلت السياط فى جسدى ما يشبه النيران وأمسكت بذراعه قائلا :

- انتظر .. سأقول كل ما تريد .

ابتسم ، وعاد إلى مكتبه فى الهواء الطلق ، والضوء الباهر ، وأشار إلى الشياطين الثلاثة ، فتراجعوا ، وقلت والدموع فى عينى :

- إما أن أخترع الأحداث ، وإما أن تصدقونى ..

ضحك ضحكة داعرة وقال :

فلتخترع لنا شيئا مقنعاً ..

أخذت أشد شعرى فى غيظ وأقول :

- لكنى لا أستطيع .. أأرمى الخليفة بما هو منه براء ؟..

- حسنا .. لا تخترع .. قل لنا تصوراتك عن الموضوع بصدق ..

قلت دون تلعثم :

- الرجل هو عمر بن الخطاب ، وقد أحياه الله القادر وجاء لإصلاح ما فسد من أمر المسلمين خاصة والناس عامة .. لم يأت ليدبر مؤامرة ضد إسرائيل ..

قال الضابط فى خبث :

- ولماذا لم ينزل إلا فى القدس بالذات ؟.

- لأنه زارها فى حياته .. وأقام له مسجداً قرب كنيسة القيامة بعد أن رفض الصلاة فى الكنيسة احتراما لحرية العقائد .. لا أدرى كيف أفسر الأمر .. هكذا اقتضت مشيئة الله.

وعاد الضابط إلى ضحكته الداعرة :

- كان فى الإمكان أن ينزل فى سوريا .. العراق .. مصر .. لبنان .. المغرب العربى .. إندونيسيا .. باكستان أم أنه خاف أن يُتهم فى أية دولة بالجاسوسية أو التآمر ضد نظام الحكم ؟؟.. أليس الأمر مثيرا للدهشة ؟؟..

قلت :

- مثير .. فعلا ..

- إذن فنحن على حق إذ نشك ..

- أنا على حق إذ أجهل ..

- تستدرجنى ؟؟.. هه

قلت :

- استبد بى الظمأ ..

مال نحوى فى غيظ :

- فلتشرب من خمر الجنة .. هناك لا يصيبكم ظمأ ولا مخمصة .. قل لى : مخمصة ، ما معناها ؟؟..

- الجوع ..

- عفارم ..

وانتزع الضابط قداحته وسجائره بعصبية وقال لرجاله :

- خذوه إلى الزنزانة .. لا تعطوه جرعة ماء واحدة .

وارتميت فى زنزانتى ظامئاً متألماً حزيناً ، تكاد تختنقنى الوساوس والهموم ، إن دائرة الخطر تضيق حولنا يوما بعد يوم ، والأيدى القذرة تحاول محاصرة الخليفة ، وخنق آماله ، لن تتركه يؤدى رسالته ، هذا ما قلته من قبل لكن أحداً لم يكترث لقولى ، إنهم يراقبون مرافقيه ، ويعرضون صوره فى جميع الأنحاء ، راصدين المكافآت الكبرى لمن يدلى بأية بيانات تكشف عن شخصيته ، لن يكفوا عن العمل والتآمر ، ترى ماذا يفعلون به الآن فى المستشفى ؟؟.. وأية مكائد جديدة ينصبونها حوله ؟؟.. لو مزقونى إرباً إرباً ما تخليت عنه إنه فرصة العمر فى الخلاص الأكبر ، هو ما كنت أبحث عنه ، يجب أن أعوص القضايا دون تلعثم ، وتفيض كلماته كالنبع الصافى ، وتشع أفكاره ثقة ويقيناً ، لو كان معه عشرة آلاف رجل من المخلصين لاستطاع أن يقف بنا على أعقاب فجر رائع ..

فى اليوم التالى فتح الضابط الزنزانة ، ورمى إلىّ بصحيفة الصباح وقال :

- انظر ماذا فعل الخليفة الذى أتى لكم بالهداية والخلاص ؟؟..

دق قلبى ، وارتعشت مفاصيلى ، وزاغت نظراتى ، لكنى تماسكت ، وتلقفت الجريدة ، وحاولت أن أجرى على سطورها مستطلعا ، كانت هناك صورة للخليفة ولراشيل ..

صرخت محتدأ :

- إنها خدعة سافلة ..

- هذا ما حدث ..

- لا يمكن .. أنا أعرفه ، تلك قصة مُختلقة من أساسها .. هل يُعقل أن يتصرف أمير المؤمنين كفتى مراهق فيختطف قبلة ، أو يقوم بحركة شائنة !!.. أنتم تكذبون .. رأيتها يصفعها عندما حاولت الاقتراب منه .. ضربها بعصاه .. كان هذا أمامي ، وبه محضر في الشرطة .. والصورة الموجودة على صدر الصحيفة هي الأخرى خدعة .. تريدون أن تلوثوا سمعة الرجل ، وتحطوا من هيبته ..

ثم استطردت في تشف وعناد :

- لن يصدقكم الناس ، هم يعرفونكم .. وأنت تعلم أن ما كُتب هنا كذب في كذب .

قال الضابط في سخرية :

- لقد حطم نفسه قبل أن نفكر في تحطيمه.

- مستحيل .. محاولاتكم قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان باءت بالفشل .. لم تستطيعوا أن تطفئوا نور الله في قلوبنا .. اختطفت قطعة من الأرض .. من ملايين الأميال الواسعة في شتى أنحاء الدنيا .. لكن النور باق ..

وأخذت أرتل على مسمع منه :

- بسم الله الرحمن الرحيم .. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .. صدق الله العظيم .

ركلني في عنف وقال :

- دعوه يلهث كالكلب .. لا تجودوا عليه بقطرة ماء حتى يلعق أحذيتنا .. إلا إذا اختار نعيم الجنة ها .. هاها ..

د . نجيب الكيلانى

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

أسسها حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر غرة

كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

الإشراف الفنى

على عبيد

المراسلات :

القاهرة ص ب ١٧٠٧

الرمز البريدى ١١٥١١

تليفون ٠١٠٥٨٥٢٧٦٢

فاكس ٤٩٠٩٥٤١

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٥٠ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات

باسم

حسين أحمد عيسى عاشور

بريد إليكترونى

mokh51@hotmail.com

مسابقات ملكات الجمال

تفتح مواجهات بين الحكومة والإسلاميين

تواجه الحكومة المصرية اعتراضات حادة من الإسلاميين عموما على مسابقات ومهرجانات تُقام فى أنحاء شتى من المدن المصرية يعتبرونها "مخلة بالآداب العامة" و "تتنافى مع القيم الإسلامية" .. إذ لم يكد ينتهى الجدل على مسابقات "ملكة جمال عارضات الأزياء" التى أجريت فى شرم الشيخ خلال فبراير الماضى حتى تصاعدت احتجاجات على مهرجان أقيم الشهر الماضى فى قلب القاهرة باسم "قمة الرقص الشرقى" ، وتجدد النقاش بحدة عقب إجراء مسابقة "ملكة جمال مصر" مؤخراً فى قرية مينا السياحية غرب الإسكندرية .

وكان مفتى مصر السابق الدكتور نصر فريد واصل وشيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى اعتراضا على إجراء مسابقة ملكة جمال مصر فى الأعوام الماضية ، مما دعا منظميها لنقلها إلى مدن بعيدة عن القاهرة وسط تكتم إعلامى ، لكن أخبار مثل تلك المسابقات لا يمكن إخفاء أمرها حتى لو نشرت فى صفحات الفن والسياحة أو فى المجلات الفنية ، ولذلك فإن نوابا إسلاميين فى البرلمان أكدوا أنهم سيفتحون ملف تلك المسابقات مجددا فى البرلمان .

ومن بين ١٧ فتاة تقدمن للمسابقة تم اختيار طالبة جامعية للقب ملكة جمال مصر ، ستشارك فى مسابقة ملكة جمال العالم فى فنزويلا العام المقبل .. ويبدو أن موعد المسابقة حُدد بعناية فى فترة العطلة البرلمانية تفاديا لاعتراضات نواب الجماعة "الإخوان المسلمين" الذين سبق أن عرضوا اعتراضاتهم أمام الحكومة .

وكانت مسابقتا ملكة جمال مصر وعارضات الأزياء التى جرت العام الماضى تعرضت لموجة من الرفض شملت عدداً من النواب ودار الافتاء والأزهر الشريف .

وقال النواب من "الإخوان" :

إن تلك المسابقات "تعتمد على مقاييس الجسد" وانتقدوا "الإصرار على إجراء هذه المسابقة وبألبسة فاضحة"، وأشاروا إلىَ أن الحكومة لم ترد أيضا على سؤال النائب محمد جمال حشمت عن مسابقة أخرى لملكة جمال مدينة الإسكندرية فى فبراير الماضى رغم فتوى المفتى السابق واصل التى حرم فيها مسابقات ملكات الجمال فى مصر .

واقتصر الأمر على نقل آراء من نواب حكوميين للإخوان بأنها مسابقات يرعاها القطاع الخاص وليس الحكومة ، وأن غرضها تشجيع السياحة ، لكن أكثر ما أثار استفزاز الإعلاميين وغيرهم من قطاعات الشعب المصرى المسابقة التى جرت الشهر الماضى فى القاهرة تحت عنوان "قمة الرقص الشرقى" وشاركت فيها ٤٥٠ راقصة فى مهرجان على ضفاف النيل ، لكن الدوائر الحكومية ردت بأن المسابقة تنظمها "جمعية أهلية ومدرسة للرقص الشرقى" .

آخر الكلام

صدق الله العظيم

أنا لا أدعو
إلى غير الصراط المستقيم
أنا لا أهجو
سوى كل عتل وزنيم
وأنا أرفض أن
تصبح أرض الله غابة
وأرى فيها العصابة
تتمطى وسط جنات النعيم
وضعاف الخلق فى قعر الجحيم
هكذا أبدع فنى
غير أنى
كلما أطلقت حرفا
أطلق الوالى كلابه !..

•••

آه لو لم يحفظ الله كتابه
لتولته الرقابة
ومحت كل كلام
يغضب الوالى الرجيم
ولأمسى مُجمل الذكر الحكيم
خمس كلمات
كما يسمحُ قانون الكتابة
هى :
"قرآن كريم
... صدق الله العظيم" !..

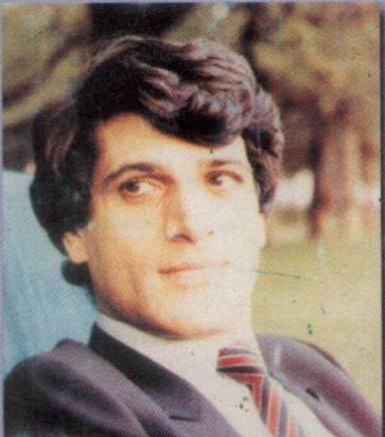

أحمد مطر